



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب - قسم اللغة العربية
تخصص الأدب والنقد

صورة المرأة في شعر حرب الفرقان

(حرب غزة 2008-2009م)

"دراسة نقدية"

إعداد الطالبة

أنسام محمد جميل دردونة

إشراف الأستاذ الدكتور

نبيل خالد رباح أبو علي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية - غزة

نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد

1433هـ - 2012م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

[سورة طه: 25-28]

إلى أبي المحاني وأمي الغالية أدام الله عزهما
عناشرا

إلى أبي المحاني وأمي الغالية أدام الله عزهما

إلى النعمة التي من الله عليّ بها

أولادي أسود العرين: محمد وأحمد وبسام

وبناتي القناديل المضيئة: منار ومرنا ومرانيا

إلى مروجي . . . حفظه الله

إلى أعظم وشائج القربى: إخوتي وأخواتي

إلى كل فلسطيني وفلسطينية هام مجبّ فلسطين وحمل أعباء القضية

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

تقدير عالم

لما كان العلماء ومرثة الأنبياء فمن الإجحاف أن ننكر فضلهم علينا

لذا كان لرمياً عليّ أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان لعالمنا المجليل

الأستاذ الدكتور / نبيل خالد أبو علي.

الذي تفضل بقبول الاشراف على هذه الرسالة، فكان معطاءً سخياً ولم يخل عليّ بما وهبه

الله من علم فهذا دأبه ودأبنا يردّه طلاب العلم ظمأى فيرتون ماءً معيناً نزل لا .

فجزاه الله عنا خير الجزاء

ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين

شكراً وتقديراً

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على النبي المصطفى صادقِ الوعدِ الأمين، و على آله وصحابه الغرِّ الميامين وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنتَ العليمُ الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واحشرنا برحمتك يا ربنا في عبادك الصالحين.

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: " رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ". (التمل، من آية: 19).

أحمدُه سبحانه على جزيلى نعمه، وفيض عطياه، وما غمرني به من فضلٍ وتوفيق، و ما منحني من صبرٍ ومثابرة، إلى أن وفقني لإتمام هذا الجهد المتواضع. أسأل الله أن يُنتفعَ به ويكون عوناً لي على طاعته.

وانطلاقاً من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " فإنني أجد لزاماً عليّ أن أتقدم بالشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة على تفضلها بقبول الإشراف على مناقشة هذه الرسالة وهما:

الأستاذ الدكتور: ماجد النعامي أستاذ الأدب والنقد المشارك في الجامعة الإسلامية.

والأستاذ الدكتور: عبد الجليل صرصور أستاذ الأدب والنقد في جامعة الأقصى.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي من عائلتي حفظها الله. وأخص بالشكر مكتبة وزارة الأوقاف مركز المخطوطات والآثار لما قدّموا لي من مساعدة في توفير الكتب.

كما وأخص بالشكر خنساء فلسطين الشاعرة رحاب كنعان التي تشرفت بمعرفتها. والشكر وموصول إلى الجامعة الإسلامية والعاملين فيها ممثلة بعمادة الدراسات العليا لما قدموه لنا من خدمات.

فلهم مني جميعاً جزيلى الشكر والعرفان

مقدمة

إن الحمد لله أحمده و أستعينه، وأستغفره، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد بن عبد الله النبي الأمي الذي أوتي جوامع الكلم، وبعد...

الشعب الفلسطيني وما يحمل من أعباء وطنه السليب، لازال يعاني من جرائم العصابات الصهيونية المارقة، وقد كانت أبشع هذه الجرائم الهجوم الذي شنته إسرائيل على قطاع غزة المحاصر في نهاية عام 2008م وبداية عام 2009م، هذه الهجمة التي عبر الصهاينة عن بشاعتها بوسمها باسم (الرصاص المصبوب) وأطلق عليها الفلسطينيون (الفرقان) تيمناً بمعارك المسلمين في بدر وأحد حيث أن الله يكتب النصر للمؤمنين ولو بعد حين.

فقد صمد الشعب أمام بطش آلة القتل والتدمير الإسرائيلية، ولما كانت المرأة نصف المجتمع كما قيل فهي في حرب الفرقان الركيزة الأساسية لشعب يتلقى الضربات بصدرٍ عارٍ وقلب حديد، فهي الأم والزوجة والابنة والأخت وكل وشائج القرى تتبثق من راحتها؛ لذا فقد رأيت أن أقف في دراستي هذه على صورتها في هذه المواقع الاجتماعية المتنوعة وهي في أتون هذه الحرب، أطلع عليها إنسانة تصب عليها المصائب صباً، أرصد صورتها وألوان مشاعرها تجاه هذه الحرب وما خلفته من مصائب، كما أرصد ردود أفعالها ومواقعها بين الجزع والصمود.

ولأن الشعر ديوان العرب، وسجل معارفهم وتاريخهم ومعاركهم، ولأنه المصور لمشاعرهم ترحاً وفرحاً، يأساً وصموداً، واستبشاراً، رأيت أن ألتمس صورة المرأة في الشعر الذي تعاطى مع حرب الفرقان؛ وذلك لأن هذه الدراسة لم يسبق أن تعاطى معها الباحثون باستثناء بعض البحوث والمقالات...

وقد رأيت أن المنهج التكاملي هو أنسب المناهج للوصول إلى الغايات المنشودة، كما رأيت أن تتوزع الدراسة على أربعة فصول بعد تمهيد يتحدث عن ملابسات حرب الفرقان، أما الفصل الأول فقد تناولت فيه صورة المرأة المناضلة وكيف كان لها دور في التعبئة والتثوير والزج بالمجاهدين إلى حياض المعركة، وكيف صمدت أمام قوى البغي العاتية بصلادة منقطعة النظر؛ فسقطت شهيدةً وتناثرت أشلاؤها الطاهرة على أرض غزة الأبية، ويتناول الفصل الثاني صورة المرأة الثكلى التي فقدت أغلى ما تملك من أقرنائها وقلذات أكبادها فبكتهم بكاءً مرأً، وكيف عانت من ألوان الثكل حينما نسف منزلها ففقدت المأوى واستظلت بالسماء وافترشت الأرض بساطاً وكانت ثكلى الأحلام التي حرّمها منها الاحتلال فحرّمها سعادتها، ويتناول الفصل الثالث صورة المرأة الرمز التي كانت رمزاً للتضحية والفداء بما رسمته من بطولاتٍ نادرة وكانت رمزاً للأرض التي التصق بها الإنسان الفلسطيني وهام بها عشقاً وكانت رمزاً للسكن والطمأنينة التي يلجأ إليها من حولها، ويهتم الفصل الأخير بالدراسة الفنية حيث

وقفت على الظواهر اللغوية البارزة التي ظهرت جليّة في شعر حرب الفرقان، كما يهتم بدراسة الصورة الشعرية والوقوف على أركانها وأنماطها في شعر حرب غزة، ثم أتبعها بخاتمةٍ رصدت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وثبت بمصادر الدراسة ومراجعتها.

والله ولي التوفيق

تمهيد

تمهيد

فلسطين أرض اللبن والعسل، أرض الميعاد، هي أرض كنعان؛ نسبة إلى القبائل العربية التي استوطنت السهول، والأودية، والجبال الفلسطينية حتى صحراء النقب.

وقد اعترفت الكتابات الإسرائيلية بأن الكنعانيين هم سكان البلاد الأصليين، وبلاد كنعان تمتد من أوغاريت حتى غزة، إلا أن مدوني التوراة عمدوا إقصاء الكنعانيين؛ لعداء اليهود الشديد لهم. فالكنعانيون والفلسطينيون هما الجنسان اللذان سكنا فلسطين وما عداها لا يمت لفلسطين بصلة.⁽¹⁾

إن صلة العرب لفلسطين لم تنقطع منذ أن كانت تعرف بأرض كنعان وقويت هذه العلاقة لقيام دول الأنباط وتدمر والغساسنة وجميعهم من العرب الذين فرضوا قدرا من السيطرة السياسية العربية على فلسطين في فترات متقطعة قبل الفتح الإسلامي.

إن العراقة العربية الأصيلة موعلة في التاريخ، ولكن من الخطأ النظر إلى اليهود على أنهم عرق أو جنس؛ لأن حياة التشتت الطويل جعلت اليهود خليطاً عرقياً متنافراً، فليس هناك وحدة لليهود رغم الطابع التقويعي والقبلي للديانة اليهودية، حيث فقدوا اللغة المشتركة (العبرية) فأخذوا يتكلمون لغات ولهجات مختلفة حسب الموقع الجغرافي الذي يقطنونه.⁽²⁾

ما إن أشرقت شمس الإسلام، حتى توحدت القبائل العربية تحت راية التوحيد فكان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾⁽³⁾ والمسجد الأقصى مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾⁽⁴⁾.

دخلها عمر بن الخطاب فاتحاً؛ فانهارت دولة الرومان ورحب أهلها بالفاتحين؛ لما رأوا من روح التسامح والعدل وحقن الدماء، ونعم المسيحيون واليهود بالاحترام وحرية العبادة.

(1) ينظر، أسامة محمد أبو نحل، تاريخ فلسطين القديم، ط/3: (1422هـ)-(2001م)، ص 52-53 بتصرف.

(2) ينظر: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط/9: 1985م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص 17-18 بتصرف.

(3) البقرة: آية (144).

(4) الإسراء: آية (1).

ومما لا شك فيه أن موقع فلسطين الجغرافي وسواحلها الممتدة؛ جعلها محط أنظار الغزاة، وقد تبلور ذلك خلال الحملات الصليبية عليها، " ولقد استعاد الغرب اهتمامه بالمنطقة العربية في أعقاب احتلال بريطانيا للهند في القرن السابع عشر، كما أيقظت حملة (نابليون بونابرت) على مصر وفلسطين في أواخر القرن الثامن عشر أطماع بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المنطقة بشكل أكثر مباشرة، نظرا لما انطوت عليه حملة (نابليون) من تهديد خطير لمصالح بريطانيا في الهند" (1).

ظهرت الحركة الصهيونية ونادت بأفكار العودة إلى فلسطين واستيطانها فهي الخلاص من القهر والظلم والتشتت وحملت أفكارا استعمارية تنادي بإقامة دولة يهودية في فلسطين، " وكذلك فإن الاستعمار عند الصهيونية كان أداة لخلق القومية، والدولة القومية، وليس لقومية قائمة ومتحققة بالفعل.

وفي الوقت الذي كان فيه المستوطنون الأوروبيون يتعايشون مع السكان الأصليين، كان هدف الصهيونية إجلاء عرب فلسطين لإقامة دولة يهودية صرف" (2).

أيدت الدول الاستعمارية الحركة الصهيونية وباركتها؛ لمأرب تخدم مصالحها، " فهناك العوامل الدينية، والعاطفية الناتجة من تأثر الغرب المسيحي بالعهد القديم في التوراة و الشعور بالذنب إزاء اضطهاد اليهود على أيدي اللساميين، ناهيك بالرغبة في تحويل الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا" (3).

تقاسمت الدول الاستعمارية الدول العربية وكان الانتداب البريطاني على فلسطين بعد اتفاقية (سايكس بيكو) السرية بين فرنسا وبريطانيا في السادس عشر من مايو عام ألف وتسعمائة و ستة عشر.

قاوم الفلسطينيون المحتل الإنجليزي بشراسة، و قاد الشيخ المجاهد (عز الدين القسام) الثورة، " ولقد أقام القسام تنظيمه الثوري ووضع برنامجه ونفذه منطلقا من إيمانه بأن الجهاد المسلح وحده هو الذي يستطيع أن يمنع بريطانيا من إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين.

(1) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 22.

(2) السابق، ص 30.

(3) السابق، ص 32.

وفي مقابل هذا الإيمان الذي كان جوهره حركة القسام وتنظيمه الثوري، لم تكن الأحزاب والقيادات الفلسطينية العاملة في الحركة الوطنية يوم ذاك تؤمن بأن وقت الثورة المسلحة قد حان، وبأن الشروط أصبحت متوافرة للعمل الثوري المسلح⁽¹⁾.

كل هذا لم يثن بريطانيا عن تأييدها لليهود وتعاطفها معهم، وتمخض عن الدعم البريطاني للحركة الصهيونية في الثاني من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر إعلان بلفور المشؤوم، حيث أصدرت بريطانيا وعد بلفور الذي يدعو إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

" فقد وجدت بريطانيا أنه إذا ما أرادت الاحتفاظ بفلسطين دون تأزيم علاقاتها بفرنسا فلا بد لها من إيجاد المبرر الكافي لإسقاط اعتراضات فرنسا على ضم فلسطين إلى نطاق سيطرتها، وكان صدور إعلان بلفور - بعد أن شارفت حملة فلسطين على نهايتها - هو ذلك المبرر⁽²⁾.

لم يكن في نص إعلان بلفور أي كلمة (دولة) إنما هي كلمة بيت قومي لليهود، وفسر على أن لليهود حق الإقامة والتنقل في فلسطين، ويكونون أحراراً في تطوير ثقافتهم العبرية، وهم خاضعون كغيرهم من السكان للسيادة البريطانية.

وتتوالى الأحداث، وفجأه تعلن بريطانيا العظمى في شباط ألف وتسعمائة وسبعة وأربعين أنها ستسحب من فلسطين، وتتخلى للأمم المتحدة عن مسؤوليتها بخصوص مستقبل البلاد، وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني تصوت الهيئة العامة للأمم المتحدة بالموافقة على قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وفلسطينية.

رحب الصهاينة بالقرار حيث حصلوا بموجبه على (55%) من مساحة فلسطين، وعددهم أقل من ثلث السكان، بينما قوبل القرار بالجزع من قبل الفلسطينيين.

احتدم القتال بين الفلسطينيين والصهاينة حيث افتقر الفلسطينيون إلى السلاح الكافي والتنظيم الجيد، ويدخل فلسطين متطوعون عرب؛ للمشاركة في القتال، وتستمر الحرب طول العام تنتهي بانتصار إسرائيل وتوسيع رقعة الأراضي التي تحتلها، وتدمير قرى كثيرة لتحل محلها مستوطنات إسرائيلية و تضم إسرائيل إليها الأراضي التي غاب عنها مالكوها الفلسطينيون، ويكون

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام في أربع مجلدات، المجلد الأول (1-ث)، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط/1: 1984 م، ص 622.

(2) سلافه حجاوي، في التاريخ السياسي الفلسطيني، ط/1: (2000 م)، ج/1، ص 8.

هناك ما يقرب من مليون لاجئ فلسطيني. وعرفت أحداث عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين باسم (النكبة)⁽¹⁾.

تجسدت النكبة في أبشع صورها، وضربت المخيمات أوتادها في ربوع الوطن وخارجه، ولم يتوقف نهم إسرائيل في التوسع، والتهمام المزيد من الأراضي، وتوافقت رغبتها هذه مع مصالح الدول الاستعمارية، ففي التاسع والعشرين من تشرين الأول عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين شنت إسرائيل حرباً على مصر أعقبه الهجوم البريطاني الفرنسي وهو ما عرف بالعدوان الثلاثي.

" وقد قصدت إسرائيل من وراء عدوانها تثبيت كيائها اقتصادياً، وكسر طوق الحصار الاقتصادي العربي، وتوسيع حدودها الجغرافية في سيناء وخليج العقبة"⁽²⁾. لم تحقق الحرب أهدافها، وانسحبت إسرائيل من الأراضي التي احتلتها من سيناء وغزة و طابا.

لكن أطماع إسرائيل لم تقف عند هذا الحد، ففي حزيران عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين عاودت إسرائيل الكر مرة أخرى بحرب احتلت بها سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان، وأعلنت عن ضم القدس القديمة إليها.

" ومساحة هذه المناطق ستة آلاف كيلو متر مربع، أي (2,22) % من مساحة فلسطين التي بقيت تحت حكم الإدارتين الأردنية والمصرية خلال الفترة من ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين حتى ألف وتسعمائة وسبعة وستين "⁽³⁾.

منذ قيامها وإسرائيل تنتهج سياسة البطش، والقمع والتوسع مخالفة بذلك القوانين والشرائع الدولية، وقد استخدمت إسرائيل سياسة جائرة وهي سياسة الإبعاد أو النفي الإجباري للفرد عن وطنه؛ لتفريغ الأراضي من ساكنيها، "ويعتبر الإبعاد من أشد أشكال العقاب قسوة لأنه يؤدي إلى الفصل الإجباري بين المبعد وعائلته، ومجمعه، وفيما يتعلق بالفلسطينيين تحديداً فإن هذه العقوبة تكتسي قسوة خاصة كونها تشكل خطوة من قبل سلطات الاحتلال لاقتلاع أكبر نسبة ممكنة من

(1) ينظر: سلمى الخضراء الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ط/1: 1997، ص/26 بتصرف.

(2) جواد محمد ومجموعة من المؤلفين، المدخل الى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الاردن، ط/1: 1997 م، ص 280.

(3) نخبة من الكتاب والباحثين، القضية الفلسطينية في نصف قرن، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط/1: 1999 م، ص/55.

المواطنين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة بهدف تسهيل عملية الضم في النهاية المتجسدة بتوسيع حركة الاستيطان " (1).

وكانت أكبر عملية إبعاد جماعي قامت بها إسرائيل في السادس عشر من ديسمبر عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين حيث قامت بإبعاد مائة وثلاثة وستين فلسطينياً من قطاع غزة إلى مرج الزهور في جنوب لبنان، فكانت تجسيدا لسياسة العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين.

إن معاهدة السلام وقيام السلطة الفلسطينية في غزة والضفة لم يمنع إسرائيل من التماذي في عدوانها، ولم تغب غزة عن قادة إسرائيل، وكذا الحيز الجغرافي الذي أمدها بالقوة والصلابة جعلها فريسة للزعم الصهيوني حيث، " تقع مدينة غزة على خط عرض (3، 31) شمال خط الاستواء، وعلى طول (34) شرقاً، بعيدة عن الساحل ثلاثة كيلو مترات ونصف (5، 3) إلى الغرب منه تماماً، كما حدد بعدها هذا (هيرودوتس) أيام الاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد" (2).

وقطاع غزة شريط ممتد من الأراضي على ساحل البحر المتوسط، مساحته ثلاثمائة وخمسة وستين كيلو متراً مربعاً، تحده الأراضي المصرية من الجنوب الغربي،

وقطاع غزة مقسم إلى خمس محافظات تحوي سبع عشرة مدينة، وثمانية قرى، وثمانية مخيمات تقع ضمن الحدود الإدارية للمدن.

يقطن به ما يربو على المليون ونصف المليون نسمة وهي أكبر كثافة سكانية في العالم بالنسبة لمساحة الأرض.

وبالرغم من انقشاع الاحتلال عن قطاع غزة إلا أنه ظل عرضة لهجمات متكررة من إسرائيل وجيشها من خلال اجتياحات بالدبابات، أو قصف بالطائرات، يزلزل البلاد والعباد، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل ضرب على قطاع غزة حصاراً جائراً صُمّت له الآذان، وكملت إزائه الأفواه.

حصار على السلع والمحروقات والأدوية وكذا المعابر التي أحكم إغلاقها؛ ليعيش أهل غزة في سجن لا يرحم، وبطالة قاتلة؛ فانتشر الفقر ونقشى، والمرض ولم تمطر السماء ذهباً ولا فضة، ولم ينزل للجياح من السماء من ولا سلوى.

(1) عدنان عبد الرحمن أبو عامر، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة (1987 - 1993 م)، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، 1426 هـ - 2005 م، ص/129.

(2) سليم المبيض، غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987 م، ص/23.

أشرفت شمس السابع والعشرين من كانون أول (ديسمبر) عام ألفين وثمانية، وهي تبعث الحياة مع الضياء، لقد كان يوماً مميزاً، مفعماً بالحيوية، لم لا ؟ وهو بداية امتحانات نهاية العام الدراسي.

إنها عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف، والطلاب على موائد الامتحانات، والناس في بيوتهم، وشوارعهم، وأسواقهم، وأعمالهم، فجأة تغير الحال إلى ما هو محال، إنه الغدر والمباغثة، عشرات الغارات الفجائية متزامنة في أن واحد تدك غزة، إنها غارات عمياء وصماء لا دين لها، وآلاف من اللحم البركانية يلقوها الطيران الإسرائيلي على غزة لتبدأ إسرائيل عدوانها الغاشم وتمارس الإرهاب، وترتكب المجازر بحق المدنيين على مرآى ومسمع من العالم أجمع، وتبث الفضائيات أبشع حرب عرفها العصر الحديث، وأول حرب عننية بين الفلسطينيين وإسرائيل.

اتسمت تلك الحرب بالدموية، واللاإنسانية، فقد نسفت البيوت على ساكنيها، واقتلعت الأشجار من جذورها، واستحالت الأجساد أشلاء.

" استخدم الجيش الإسرائيلي في حربه على غزة مجموعة من الأسلحة، قد يكون منها ما يجرب لأول مرة؛ وذلك لقياس مدى فعاليتها، أو تم استخدامها في حروب سابقة مثل حرب الخليج الثانية، والثالثة، وحرب تموز على لبنان صيف (2006م) " (1).

إنها خلاصة ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من قدرة هائلة على التدمير، وأن تسمع غير أن ترى وتتذوق، فهي تجعل القلوب لدى الحناجر - إن بقيت قلوب - لقد " أثبتت التقارير الطبية الصادرة عن هيئات طبية محلية وأجنبية، وتقارير المنظمات الحقوقية المحلية والدولية، والتقارير الصحفية بما لا يدع مجالاً للشك استخدام إسرائيل لنسخ تجريبية لأسلحة حديثة، تستخدم لأول مرة في قطاع غزة، وذخائر محرمة دولياً بالإضافة إلى الاستخدام المفرط للأسلحة التقليدية، وأدى هذا الاستخدام لحدوث تشوهات، وحروق بليغة لدى الأشخاص الذين تعرضوا لهذه الأسلحة" (2).

عقول تبذع ما تقهر به الشعوب، ويترعرع به سرطان الاحتلال الصهيوني لفلسطين، ومن تلك الأسلحة التي استخدمتها إسرائيل في حرب الفرقان على غزة: (3)

(1) حاتم أبو زائدة، الحرب على غزة (2008/12/27م - 2009/1/18م)، كانون ثاني، 2010 م، ص 148.

(2) سعاد الدعالسة وأخريات، أسلحة الاحتلال الإسرائيلي خلال العدوان على غزة (2008-2009م)، اللجنة المركزية للتوثيق " توثيق"، ص 18.

(3) ينظر: حاتم أبو زائدة، الحرب على غزة، ص 149 - 150 بتصرف.

- متفجرات المعدن الكثيف الخامل (DIME) ووصفت بأنها القنابل القبيحة جداً تدمر الجسم البشري بطريقة لا يمكن وصفها إلا بالشيطانية.
 - القنابل متعددة الأغراض (MK80)، لضرب المناطق المفتوحة بالطائرات ومناطق الأنفاق.
 - الآبام (ABAM)، وتحتوي على ثلاث آلاف شظية وتتفجر ستة انفجارات متتالية، وتنشطر ستة أقسام عند اقترابها من الهدف، وكل قسم يتحول إلى خمس آلاف شظية.
 - صاروخ النمرود، إسرائيلي الصنع، طوله يزيد على المترين ووزنه مائة كيلو جرام، يوجه بالليزر، ويحوي خمس آلاف شظية.
 - الفسفور الأبيض، مادة شمعية، شفافة، بيضاء تميل إلى الاصفرار، وله رائحة كالثوم، ويعد وسيلة تدمير حربية شديدة الفتك بالإنسان والبيئة.
- استخدمت إسرائيل هذه الأسلحة دون توقف، وبصورة عشوائية، استهدفت خلالها المصانع والمؤسسات والمدارس والمستشفيات، ومباني الهيئة الدولية (الأونروا).
- ومن تلك الأسلحة ما يسمى بقذائف السهام الخارقة وهي " نوع من أنواع الأسلحة المضادة للأفراد، ذو رأس معدني مدبب من الأمام طوله أربعة أمتار، وله أربع فراشات في الذيل وبحسب المصادر العسكرية الإسرائيلية فقد حصلت إسرائيل على ألف من هذه القنابل من الولايات المتحدة الأمريكية في العام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين" (1).
- انبعثت رائحة الموت من كل حذب وصوب، وعم الدمار وسيطرت الطائرات، والدبابات، والجرافات، وكاسحات الألغام، وامتدت الحرب إلى اثنين وعشرين يوماً، سقط خلالها مئات الشهداء، وآلاف الجرحى والمعاقين.
- تجاوز الشهداء ألف وأربعمائة شهيدا من الرجال والنساء والأطفال.
- أما الجرحى فقد سجل عددهم خمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثة جريح وكانت الإصابات بالغة في كثير من الأحيان نظراً لوجود الكثير من الرضوخ المعقدة الناجمة عن انفجار الأسلحة، وسقوط المباني، أما من بترت أعضاؤهم فحدث ولا حرج، وكذا من أصيبوا بالعجز المستديم وإصابات الدماغ والنخاع الشوكي واعتلالات السمع ومشكلات الصحة النفسية. (2)

(1) سعاد الدعالسة وأخريات، أسلحة الاحتلال الإسرائيلي على غزة، ص 52.

(2) ينظر تقييم الأثر البيئي للعدوان على غزة، سلطة جودة البيئة، غزة، فلسطين، ديسمبر 2009، ص 52 بتصرف.

رسم الغزيون لوحه مشرفة للشجاعة، والتحدي شيباً وشباناً، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً.

وقد تكبد قطاع غزة خسائر جمة في الاقتصاد، والبنية التحتية، تقدر بما يربو على المليار دولار " وأظهر تقرير الجهاز المركزي تدمير العدوان أربعة آلاف ومائة مسكن بشكل كامل"⁽¹⁾.

أما إسرائيل فبرغم آلة البطش الهائلة التي استخدمتها إلا أنها تكبدت خسائر كثيرة، " اعترفت إسرائيل بسقوط حوالي أربعة عشر قتيلاً، وبضع عشرات من الجرحى، فيما أعلنت المقاومة عن قتل عشرات الجنود الإسرائيليين بما يقارب المائة، وتدمير وإعطاب حوالي خمسين دبابة وجرافة واحدة، وإسقاط طائرة مسيرة، وإصابة أربع مروحيات. "⁽²⁾

وتتجلى صورة المرأة شامخة، فهي تضم تحت جناحها كل أسرتها، إنها البوتقة اللامة، إنها كل المجتمع لا نصف المجتمع كما قيل.

"وينبغي على المرء أن يبين دور المرأة، ليس فقط تطعم الأولاد، وتقوم بالتنظيف... إنها هي من يحول الأطفال حديثي الولادة من مجرد كائنات حية إلى كائنات بشرية مثقفة؛ بتعليمهم الآداب السلوكية، والطرق المناسبة للتصرف؛ ليصبحوا أعضاء ثقافية ناضجين، وعلى أساس وظائفها في التنشئة الاجتماعية وحدها فلا يمكن أن تكون ممثلة للثقافة أكثر من ذلك"⁽³⁾.

المرأة التي حار في أمرها الفلاسفة والمفكرون قديماً، والتي سلبها اليونان الحرية، فقد عاشت في مجتمع يحمل العداء والكراهية للمرأة؛ فليس لها الحق في ممارسة حياتها كإنسانة راشدة، إنما ترزخ تحت وصاية الرجل، وأما المهر " كانت تنقله معها إلى بيت الزوجية في شكل جهاز أو ثروة عقارية، وهي أو أهلها من يدفعه، وتأخذه إلى زوجها ".⁽⁴⁾

هذا الوضع المزري للمرأة عند اليونان ساواها بالعبيد، فالعبد يزود الأسرة بما تحتاج إليه والمرأة تزود الأسرة بالأبناء، " ولم يكن للابنة في القانون اليوناني حق في أن ترث والدها، إنما يرثه فقط ابن ذكر "⁽⁵⁾.

(1) العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، 2008/12/27 م - 2009/1/18 م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، قسم الأرشيف والمعلومات، بيروت، لبنان 2009 م - 1430 هـ، ص 17.

(2) السابق، ص 41.

(3) ويندي كيه كولمار وفرانيسيس بارتكوفيسكي، النظرية السنوية، ترجمة: عماد إبراهيم، الأهلية للنشر، عمان، الأردن، ط/1: 2010 م، ص 203.

(4) إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، ط/3، 1996 م، ص 100.

(5) السابق، 101.

وكانت الحرة تغطي وجهها أما الإماماء فهن سافرات ومما أكدته فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو سيطرة الرجل الكاملة عليها، " فإن أرسطو يستبعد المرأة تماما من ميدان الثقافة، والسياسة، والحياة الفكرية بصفة عامة؛ ليجعل وظيفتها مقتصرة على الإنجاب "(1).

ولو عدنا إلى المجتمع الجاهلي حيث البداوة و الترحال، وانعدام الدولة، وما ساد من وأد للبنات درأ للعار الذي يخيم شبحه حول الخيام، نجده أرحم من اليونان بكثير فقد " كان زيد ابن عمرو بن نفيل يحيي الموعودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها إن شئت دفعتها إليك، إن شئت كفيتك مؤنتها. والإحياء هنا مجاز، والمراد بإحيائها إبقائها" (2).

ومما امتازت به المرأة في الجاهلية جعلها أكثر تحضرا من المجتمع اليوناني، فقد " كانت سافرة وتختلط بالرجال، وتسافر وحدها، وتركب الخيل، وقد كان لها موقع في الحياة الثقافية، وتملك حق الطلاق" (3).

وحظيت المرأة في الجاهلية بقدر رفيع من الاحترام، فتفاخر العربي بنسبه إلى أمه، واعتز بهذا الشرف العظيم؛ " ولهذا وجدنا ظاهرة النسبة إلى الأم، والتكني بها فكان الكثير من رجالات العرب، وشعرائهم يتكفون بأسماء أمهاتهم، فالمناذرة نسبوا إلى أهمهم (ماء السماء)، وعمرو بن المنذر ملك الحيرة كان يقال له (عمرو بن هند)، ولا نشك في أن لكل من أمهاتهم شخصيتها الفذة، ومواقفها الحميدة التي أدت إلى الافتخار بها والانتساب إليها" (4).

ومع ذلك كان لهذا المجتمع سلبياته فقد حرمت المرأة من حق الإرث، ولم يكن لها أي دور مرموق إلى جانب الرجل.

أشرقت شمس الإسلام، فبرز نجم المرأة ساطعاً، فرفعها من المهانة، وجعل لها منزلة سامقة، ولها حقوق كما أن عليها واجبات، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (5). وسأوى

(1) إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، ط/3، 1996 م، ص71.

(2) محمد حور، تربية الأبناء، في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، مكتبة المكتبة، أبو ظبي 1980م، ص69.

(3) فتحي سلامة، المرأة والتنمية، بين الواقع المتاح والمستقبل المأمول، مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ص45.

(4) واجده مجيد عبد الله الأطرقي، المرأة في أدب العصر العباسي، مركز زيدان للتراث والتاريخ، ط/1: 1423 هـ - 2002 م، ص 28.

(5) البقرة: آية 228.

بينها وبين الرجل في الجزاء والعقاب. قال تعالى: ﴿ أَمِّي لَأُضِيعَ عَمَلٍ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴾⁽¹⁾. إنها العظمة التي منحها الله عز وجل للمرأة، حينما تترفع عن الدنيا، فقد شرف القرآن الكريم عيسى عليه السلام بنسبه إلى أمه البتول، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾⁽²⁾.

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم لنا مثلاً رائعاً للزوج، والأب، والمربي الحاني. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "... واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع أعوج، إن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً"⁽³⁾. أخرج مسلم. لقد نعمت المرأة في ظل الإسلام بحياة لم تتلها امرأة قط، " وأعظم من جميع الحقوق الشرعية التي كسبتها المرأة من القرآن لأول مره أنه رفع عنها لعنة الخطيئة الأبدية، ووصمة الجسد المرذول، فكل من الزوجين قد وسوس له الشيطان واستحق الغفران، بالتوبة والندم"⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾⁽⁵⁾.

وقد كان للمرأة دورها في مساندة الرسالة النبوية، فكانت إلى جانب الرجل تسانده، وتشد أزره بالوقوف في وجه الكفر والطغيان. " وكذلك الحال بالنسبة للشواعر، فبعد أن كن يحثن على الانتقام، والأخذ بالتأثر، تحولن بشعرهن إلى نصره المجاهدين في ميادين الحرب، وشد أزهم"⁽⁶⁾.

اتسعت رقعة الإسلام، واحتدم الصراع بين قوى الخير والشر، ولم تغب المرأة عن المشهد، فكانت تسعف الجرحى، وتسقي الجنود، ففي الحديث الشريف: حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا

(1) آل عمران: آية 195.

(2) مريم: آية 34.

(3) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت 256 هـ، صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، 1419 هـ - 1998 م، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ص 1026.

(4) عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، أغسطس، 2003 م، ص 53.

(5) البقرة: آية 36.

(6) أ. د. نبيل خالد أبو على، شاعرات عصر الإسلام الأول، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2001 م، ص 140.

جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغزو بأمر سليم ونسوة من الأنصار؛ ليسقين الماء ويداوين الجرحى " (1).

وممن غزوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم نسبية بنت الحارث الأنصارية (أم عطية) التي أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا (الشفاء بنت عبد الله) القرشية، الأخصائية في علاج القرحة الجلدية (النملة)، " فلقد أفلحت الشفاء بنت عبد الله عندما استعملت الدواء، وذكرت اسم الله قبل استعماله في معالجة الجلدية، ونالت رضا الله ورسوله عندما أعلنت إسلامها قبل الهجرة " (2).

برز دور المرأة الفلسطينية المناضلة في مقاومة الاحتلال حيث أوقدت نار الثورة بالتوجيه، والتظاهرات، والاعتصامات، وحملت على كاهلها هموم القضية فنزلت إلى معترك الحياة السياسية والنضالية، فحرضت الرجال لصد المعتدين، هذه المرأة التي رسمها الشعراء بأبهى ما يكون فالشاعر إبراهيم طوقان في تصويره للمرأة، " يقتصر على مشاهد معاناتها، سواء أكانت صابرة على البلاء وما حل بالأهل والأبناء، أم مولولة من هول المصائب وأثارها، أم منكوبة تعاني التشرد والضياع " (3).

ويكفي في هذا المقام قول (محيي الدين الصفدي):

عودي لخدرك يا أخت المها الذي يرينا كيف خرجت المرأة مغضبة نائرة في وجه المجرم الصهيوني في ثورة عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين.

حيث نظمت هذه القصيدة في نابلس إثر مظاهرة اشترك فيها فريق من نساء المدينة وطالبات المدارس يقول فيها (4):

(1) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (202 هـ - 275 هـ)، سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1: 1988 م، ص 384، ح(2531).

(2) عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد، الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط/1: 1405 هـ - 1985 م، ص 92.

(3) أ. د. نبيل أبو علي، في نقد الأدب الفلسطيني، دار المقداد للطباعة ط/1: غزة 2001 م - ص 31.

(4) محيي الدين الصفدي، من فلسطين وإليها، حلب، ط/1: 1975 م، ص 31-32.

وينظر: زكي العيلة، المرأة في الرواية الفلسطينية، مركز أوعاريت الثقافي للنشر والترجمة، ط/1: 2003 م، ص 15.

عودي لخدرك يا أخت المها عودي
في الحي ما شئت من شؤسٍ ومن صيد
تبارك الله إذا أقبلت مغضبة
والحسن يشرق من طرفٍ ومن جيد
فكفكفي الدمع من عينيك واطرحي
عنك الأسى لتواسي قلب معمود
ودونك الحي جري في مسارحه
ذيل المفاخر بين الخرد الغيد
أما رأيت ليوث الحي قد برزوا
حمر المناصر فوق الضمر القود
غادين للموت لا يلوون أو يصلوا
إلى سبيل من العلياء محمود
فتيان قومك كم خفوا لنائبة
في كل يوم من الأيام مشهود

الفصل الأول

المرأة المناضلة

المبحث الأول: التعبئة والتثوير.

المبحث الثاني: الصمود والمقاومة.

المبحث الثالث: مصابة وشهيدة.

المبحث الأول: التعبئة والتثوير

المرأة صانعة الرجال، في أحشائها نبض الأنبياء، والعظماء، والزعماء، والقادة، حملتهم أجنة، وربتهم صغاراً؛ فنهموا من دماها عزةً وإباء، وغذتهم من قوتها، ورباطة جأشها صموداً وإصراراً.

أوقدت لهم شعلة المجد لا على نار هادئة، بل براكين تقذف بحمم وشواظ في وجه الباغين أيا كانوا.

هي في مملكتها المتواضعة (منزلها) تصنع المعجزات؛ بما تذكيه في النفوس من المؤازرة، فما أعظم أن يجد المرء من يسانده، ويثبت أقدامه، " فالتشجيع لازم للمرء لزوم الوقود للمحرك، إنه هو الذي يسيره، ويشحذ ذهنه، ويمد روحه بالطاقة، بل انه هو الذي يحيل الفشل نجاحاً والهزيمة نصراً في كثر من الأحيان"⁽¹⁾.

وقد مارست المرأة دورها التثويري التعبوي بصورة جليلة في المجتمع الجاهلي، حيث الغزو والصراع الدائمين.

وفي هذا المضممار يتراءى أمامنا قول (هند بنت عتبة) ورفيقاتها يحرضن الرجال على القتال بقولهن⁽²⁾:

إن تقبلوا نعانقُ

أو تدبروا نفارقُ

فراق غير وامقُ

(وعمر بن كلثوم) يطلعنا على حقيقة المرأة في الحروب، ويسمعنا صدى صوتها التثويري في معلقته حيث يقول⁽³⁾:

(1) رويدا عماد البربري، نساء في حياة الأنبياء والرسول، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط/1: 1412 هـ- 1991م، ص 23.

(2) أحمد سيد محمد، دراسات في الأدب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/1: 1986 م، ص 22. وينظر: أ. د. نبيل أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول، ص 29. وينظر رجا سمرين، شعر المرأة العربية المعاصر (1945-1970م)، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 507.

(3) أحمد بن الأمين الشنقيطي (اعتنى به وصحبه)، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 106.

على آثارنا بيض حساناً تُحاذِرُ أن تُقسَّم أو تهوناً
أخذن على بعولتهن عهداً إذا لاقوا كتائب مُعلمينا
لتستلبن أفراساً وبيضاً وأسرى في الحديد مُقرنيناً
يُقْتَن جياننا ويقُلن لستم بعولتنا إذا لستم تمنعوننا

أما القرآن الكريم، فلم ينكر عظمة المرأة في السياسة والتعبئة والتثوير، فحدثنا عن بلقيس ومملكتها، وحكمها بالشورى، وكيف حارت في أمرها إلا أنها قادت قومها إلى طريق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِلهِي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾.

" فقد كانت ثرية الذهن، جبارة التفكير، ولا ريب في أنها كانت شخصية قوية، مرهوية الجانب، وإلا ما كان لها أن تحكم مملكة عظيمة في سبأ "⁽²⁾.

ومن الصراع القبلي إلى الجهاد، حيث لم تتخل المرأة عن دورها التثويري، فقد خرجت النساء في المعارك.

" أخرج أبو داود من طريق حشرج بن زياد عن جدته رضي الله عنها، أنهن خرجن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهن عن ذلك فقلن: خرجنا نغزل الشعر ونعين في سبيل الله ونداوي الجرحى ونناول السهام، ونسقي السويق"⁽³⁾.

وما أن تلاشت جحافل الكفر، واندثرت حتى استعرت نيران الاستعمار، وازداد نهم الدول العظمى في السيطرة على الشعوب وسحقها ونهب خيراتها، والأمة العربية كغيرها عانت من ذلك؛ فهبت الشعوب ثائرة؛ لتنتزع حريتها انتزاعاً، وشاركت المرأة في النضال، واتخذ الشعراء من المرأة وقوداً، لاستنهاض الهمم والتصدي للمحتلين؛ وذلك عندما صوروا ما يؤول إليه حالها، ومحاولة النيل من عرضها، " ولا مرأ في أن هذه الحالة المزرية تفجر عواطف الثورة والانتقام للشرف المدوس في نفس الإنسان العربي، وأنها ستكون دافعه القوي نحو المشاركة الفعالة في عملية التحرير " ⁽⁴⁾.

(1) سورة النمل: آية 23.

(2) رويدا عماد البربري، نساء في حياة الأنبياء والرسل، ص 74.

(3) الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ج/6 (كتاب

الجهاد والسير)، باب (غزو النساء وقتالهن مع الرجال، ص 171.

(4) عبد الرحمن حوطش، شعر الثورة في الأدب العربي المعاصر، مكتبة المعارف للنشر، ص 136.

وهذا ما أشار إليه الشاعر عمر أبو ريشة في قوله: (1)

كم حرة لم تدر عين الشمس ما في خدرها أغضت بطرف كاره
وبناتها وجلى تضج أمامها والرجس يدفعها إلى أوكاره

تحررت الشعوب وظلت فلسطين جريحة؛ فانطلقت المرأة إلى ساحات الوعي والتثوير، " ويسجل أول نشاط سياسي ملحوظ للنساء عام ألف وثمانمائة وثلاثة وتسعين في العفولة والذي خرجت النساء فيه في مظاهرة احتجاجية على إنشاء أول مستوطنة يهودية في ذلك الوقت " (2).

والأم الفلسطينية ترضع أطفالها العزة والكرامة والشموخ حتى إذا شبوا عن الطوق، غدوا رجالاً صناديد، يقول هارون هاشم رشيد: (3)

هي أمه من أرضته رجولة

ويطولةً وبه تتيه وتسعد

تدري بأن طريقه ملغومة

وأذكت المرأة الفلسطينية نيران الثورة من خلال عملها؛ فوفقت تؤدي رسالتها الوطنية على أكمل وجه، " لقد أسهمت المرأة المتعلمة في غرس روح العزة، وأوقدت مشاعر الإيمان بالحق، تضيء درب الأطفال في مدارسهم وتمدهم بسلاح العلم " (4)؛ ولهذا لم يبالغ من اعتبر المرأة الفلسطينية صمام الأمان اللوجستيكي في الانتفاضة فهي التي جعلت من نفسها جسراً يمر به كل بطل و مقاوم.

" والأديب الفرنسي الكبير (جان جينيه) انتبه إلى هذا و أكد في كتاباته بعد أن زار قواعد الفدائيين عام 1970 م، وعاش معهم، فكتب عنهم وعن أهلهم وخص نساءهم بأقوال خالدة " (5) . وأشار إلى دور المرأة معلناً، " في كل ثورة المرأة هي دائماً الأكثر جذرية، وفي الثورة الفلسطينية يبدو ذلك في غاية الوضوح " (6).

(1) عمر أبو ريشة، الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1996 م، ص 18.

(2) هداية شمعون، النساء والمشاركة السياسية بين المعوقات والإمكانات المتاحة، مركز شؤون المرأة، غزة، فلسطين، 2006 م، ص 23.

(3) هارون هاشم رشيد، وردة على جبين القدس، دار الشروق، القاهرة، ط/1: 1998 م، ص 24.

(4) محمد شحادة عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 1987 م، ص 179.

(5) دور المرأة في الانتفاضة، مطبوعات الإعلام الموحد، مطبعة تونس قرطاج، تونس، 1989 م، ص 48.

(6) السابق، ص 50.

فالمراة الفلسطينية بدورها في التعبئة والتثوير ضد الاحتلال تعد التنور الذي ينضج قوت الحياة، فتزمي بشرر كالقصر وجوه الغاصبين، يقول عبد الكريم السبعاعي:⁽¹⁾

تقول له الأم

جف على فمك الثدي

فارضع حليب الزلزال

والمراة الفلسطينية التي " اعتصرت الدم الفلسطيني فخلقت منه خرائط و وروداً وأنموذجاً للوحات فنية نالت إعجاب العالم وتقديره، كما علمت الابن تاريخ القرية التي دمرها العدو، ولغة الوطن وغرست في نفسه إيماناً لا يتزحزح بحقه في أرضه ووطنه "⁽²⁾.

وقد بين الشاعر عمر خليل عمر دور المراة الفلسطينية في حث أبنائها على النضال بقوله:⁽³⁾

لكن لم يكن الأطفال بهذا العرس الوطني وحيدين

كانت أم الطفل تشدُّ على أيديهِ

والوالد من نور الحكمة والوعي يُغذيه

وفي حرب غزة (الفرقان) رأى العالم أجمع وسمع المراة الفلسطينية بقوتها الهائلة، وكلماتها التي تشعل براكين الغضب والثورة على العدو، فكانت تلقي بقذائفها الكلامية ما يزلزل العدو في حصونه؛ فتقذف في قلوبهم رعباً أعتى من صواريخ حريهم، ورأى ذلك الشعراء بأمر أعينهم؛ فجادت قريحتهم بكلمات تحمل عبق التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني.

" إن من الشعراء من يهزون الرماح، ويشهرون السيوف، ويمتطون صهوات جياذ الحرب... ولكنهم يقرعون أبواب العصر والمستقبل بصلاية وعزم لا يكل، ويرتادون عوالم لم تكتشف بعد "⁽⁴⁾.

(1) عبد الكريم السبعاعي، ديوان: متى ترك القطا، (قصيدة لا وقت للحزن)، دارالنور للنشر، غزة، فلسطين، ط/1: 1969 م، ص 94.

(2) بثينة شعبان، المراة العربية في القرن العشرين، دار الثقافة للنشر، سوريا، دمشق، ط/1: 2000م، ص 79.

(3) عمر خليل عمر، مرثية الشرف العربي، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط/1: أغسطس 2001م، ص 59.

(4) موقع شبكة فلسطين للحوار، بحث عن المعاني الواردة في شعر معركة الفرقان. مقال: م./محمود الرنتيسي

وقد استنفض (أيمن العتوم) هم العرب لنجدة غزة الجريحة في قصيدة (أحقا إنكم عرب؟) فهو يعيرهم بشبع أبنائهم، وشربهم الحليب في حين تجف صدور الأمهات في غزة بسبب الحرب والحصار، حيث يقول: (1)

ولا تنسوا.. إذا شربوا حليباً طازجاً

صباحاً.. مساءً.. وارتوى البدنُ

بأنَّ الأمهاتِ صدورها جفَّتْ

وأنَّ عروقنا يبستْ

وأن صغارنا انطفأتْ

وجندلَ روحها الوهن

أما (جميل عزيز محفوظ) فقد عنون قصيدته بـ (أجج دماءك) التي تحمل التثوير وتوهج أتون المعركة، لوقوع ألف شهيدة بغزة، قتلها إجرام، حيث يقول: (2)

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| قم من ركامك وانتفض يا هام | حَتَّام تبقى في الونى وتلام |
| هذا عدوك منذ ألف شهيدة | سقطت بغزة قتلها إجرام |
| هذي جراحك والدماء تناثرت | وصداها من وجع الأنين كلام |
| أجج دماءك في الأتون توهجاً | قد يستضيء على سناها ظلام |
| قم عز غزة فالدماء عزيزة | إلا عليها حميئة وحرام |
| هذا العدو إلى دمائك ظامئ | فائرغهُ علقم من يديك يسام |

والفلسطينية تذكر أولادها بالماضي التليد، والخيمة العنقاء في صحراء العز والمجد العربي في غابر العصور؛ لتثير في نفوسهم الانتماء للوطن؛ فيحفزهم ذلك على قتال العدو الذي دنس الأقصى.

صوّر (سعد الدين شاهين) ذلك في قصيدة (في خاطري وطن وإبريق وماء)، يقول: (3)

وامرأة ترصع بالبنين بكاءها

(1) ديوان لأجلك غزة، جمع وإعداد: موسى إبراهيم أبو دقه، منشورات منتدى أمجاد الثقافي، غزة، ط/1: 2009 م، ص 84.

(2) السابق، ص 112.

(3) ديوان لأجلك غزة، ص 207.

وتصيح

قم يا سليل الخيمة العنقاء في

صحرائنا

قبّل يد الأقصى وحيداً

ثم هات من السماء إذا

عرجت

طقوس موتي في الفراش

من أين أبدأ..؟

باحطاب للندی

كي أسقي الافلاج جائعةً

بحقلي..؟

أم بالدعاء

وقد حفظت جميع أورداد

الأوائل

أما الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة (حصار غزة) فهو يرى دمعة الأم تتسامى حين يودعها طفلها، هذا الوداع الذي اتخذ نمطاً مغايراً للعادة، لم تودعه حتى يحرز النصر في الملعب مثل الآخرين الغارقين في اللهو والترف، إنما هو وداع شرف؛ ليستشهد، فقد امتطى فيه جواد الشجاعة حينما فقد الشجعان، يقول فيها: (1)

ورأوا دمعة أم تتسامى حينما ودّعها الطفل المثلّم
لم تودّعه إلى الملعب حتى يحرز الفوز وبالكأس يكرّم
إنما ودّعت الطفل ليلقى ربّه في ساحة الموت ويغنم
رؤس الأحداث متناً وامتطاهما حين لم يبصر شجاعاً يتقدّم

لقد رأى الشعراء المرأة الفلسطينية نموذجاً يحتذى في الصبر والثبات على الشدائد، رغم شراسة الهجمة الصهيونية؛ لذلك رأينا بعضهم يأخذ على عاتقه مهمة إثارة النخوة العربية، ومن

(1) لأجلك غزة، ص 288.

هؤلاء نذكر الشاعر (يحيى بشير حاج يحيى) الذي يخاطب كل صاحب نخوة لما حدث في غزة من قصف مجنون وحصار جائر، في قصيدة (فلسطينية تحت الأنتقاض) يقول فيها: (1)

لا تتركوني للحصار فلكل مخلوق على البلوى اقتدار

قَتَلَ الرجالُ

نُفْيَ الكبارِ

وأنا أُصَبِّرُ إخوتي ! قد طال وقتُ الانتظار

أو ليس فيكم من يُلَبِّي صرختي ؟

وأنا أُلَقَّبُ فوق ناز

فالقصفُ مجنونٌ يجيء لنا بأنواع الدمار

لم نرتكب جرماً وما جننا بإثمٍ أو سناز

وفي مشهد آخر يصور لنا الشاعر نفسه، المرأة الفلسطينية التي تستحث أبناء أمتها، وتحفزهم على اتخاذ القرار لخوض معركة التحرير، فهي تقف مع بعض الفئات مع انعدام الماء، الذي إن وجد فهو مر المذاق تتجرعه ولا تكاد تصيغه، إنها في قبرها الدنيوي، محصورة لا يزورها أحد ومنعت هي من الزيارة. يتجلى ذلك واضحاً في القصيدة السابقة يقول فيها: (2)

أنا هنا

أقتاتُ بعض فتاتكم

وإذا وجدتُ الماء، أين الماء ؟

أصبح طعمهُ طعمَ المرارِ

أنا ها هنا في قبري المحصورِ

لم أبصر - وحقَّ الله - وجهاً للنهار فعلام - يا أبناء أمتنا - نضاز؟

وعلام نبقي ميتين فلا نزور ولا نزار؟ !

فمتى ؟ ومن منكم سيتخذُ القرار ؟ !

(1) موقع أدباء الشام. يحيى بشير حاج يحيى. عضو رابطة أدباء الشام. Yahyahaj@hotmail.com .

(2) السابق.

هيا إلى منازل الأعداء، بكل شراسة، فأين البطولة؟ وقد نكبت النساء في غزة. هاهو الشاعر يستهض هم الرجال متسائلاً عن الحمية والأوطان نادبةً باكية، فالشاعر (فيصل مفتاح الحداد) في قصيدته (إلى أبطال غزة)، يقول فيها: (1)

نازل عدوك والأيام شاهدة والله يكلمكم بالرفد والصفد
أين البطولة و الأعداء مقبلة ونسوة نكبت باتت على ضمد
أين الحمية والأوطان نادبة تبكي مولولة من شدة الرمد

وفي عملية التنشئة، تمارس الأم الفلسطينية دورها في تنشئة أبنائها على عشق الفداء، فهي تقوم بدور التعبئة والتثوير في مرحلة مبكرة من الحياة فهي ترضعهم مع الحليب الشموخ والعزة و الإباء، فالشاعر (عبد الرحمن بارود) يقول: (2)

ازرعني في البنين عشق الفداء

وركوب العواصف الهوجاء

أرضعهم مع الحليب رحيقاً

من شموخ وعزة وإباء

عوذهم بالله من كل مرعى

فيه حمض مقطع الأمعاء

ورغم شراسة القصف والحصار، إلا أن الأم الفلسطينية لم تهن عزيمتها، ولم تترك مهمتها التثويرية الأم في غزة استجرت، وصرخت في وجه العالم، متسائلةً عن النخوة، وعن الرجال ليهبوا كما فعل (المعتصم) بجيشه الجرار؛ لنجدة امرأة مستغيثة، دوت صرختها (والااااااه معصماه!)، وفي قصيدة (غزة وحدائق الوجع المذبوح) الشاعر (محمد علي الحايك) يقول: (3)

أمي ب (غزة) قالت: أين نخوتكم؟

أين الرجال؟ أما في الدار معتصم

صبراً ل (غزة) صيحات تمزقني

(1) لأجلك غزة، ص 386.

(2) مجلة اشراقات فلسطينية، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، العدد: صفر، رمضان 1432 هـ-أغسطس آب 2011م، ص 44.

(3) أسامة جمعة الأشقر، ديوان الفرقان، قصائد مقاتلة أطلقتها مدافع الشعراء في ملحمة غزة (2009 م)، الناشر: دار مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، سوريا، ط/1: 1430 هـ -2009 م، ص 254.

عند الحصار تساوى البخل والكرم

أماه: معتصم قد مات من زمن

ولن يعود إذا لم ترتق الهمم

ليل الفجعة إشراقاً بأزمنتى

كالفجر بعد ظلام الليل يرتسم

ليست الأمهات فقط من يقمن بدور التعبئة والتثوير، إن العذارى يطلقن صرخات الاستجداء التي تحمل في ثناياها غليان الدم العربي، والنخوة الإسلامية، فهي تنذرهم بضياح عرضها؛ لأن أباها قتيل، وأباها شيخ يُطَمَّ؛ لذا فهي تطلب من أخيها العربي الفدائي أن يتقدم ولا يخاف الموت الذي حمم ودمدم. ففي قصيدة (هكذا تحيا غزة)، الشاعر (محمد محمود الحسين) يقول: (1)

| | |
|--------------------|--------------------|
| حمم الموت ودمدم | لا تخفف منه تقدم |
| صاحات العذراء تبكي | هتاك السوتر المكرم |
| وأخي أمسى قتيلاً | وأبي شيخ يُطَمِّم |
| يا أخا العرب تقدم | عربد البغي و أجرم |
| حمم الموت ودمدم | لا تخفف منه تقدم |

إذا لم يحرك - منظر الدمار الشامل حيث اللحم.. والدم.. والعظم.. والكفن - في العروبة ساكناً فلا أمل فيهم يرجى فهي القيامة بأهوالها ماثلة في غزة فالحرائر والثكالى يستصرخن أسماعكم، لكنكم لم تألموا، فلو كنتم أحياء لاستشاط بكم الدم. فأبي خذلان أعظم من هذا؟ فلو رأى المعتصم لانتظر زحفكم كصنيعه الذي خلده التاريخ يقول الشاعر (هاشم صالح سلامة) في قصيدة (بلغ الدم الزبي): (2)

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| لحم دم.. لحم دم.. كفن دم | أقيامه أم أن تلك جهنم |
| هذي الدماء بغزة ما حركت | لو بعض وجدان وقلب فيكم |
| هذي الحرائر والثكالى استصرخت | أسماعكم لكنكم لم تألموا |
| نادت فلاحى أجاب نداءها | لو كان حياً لاستشاط به الدم |
| قد كان معتصم يؤمل زحفكم | لكن معتصم الرشيد خذتموا |

(1) ديوان الفرقان، ص 275.

(2) السابق، ص 281.

إن دموع الأم الفلسطينية سلاح يذكي الكرامة؛ فينتفض له كل حر؛ لينهض شامخاً في وجه العدو بصبر وشموخ فهذه شرعة الكفر ديدينها المجازر والبواح. ففي قصيدة (أماه عذرك فالعروس هي الجنان) يقول (حسام إبراهيم هرشه):⁽¹⁾

في روضِ الجراح

أمي وأُمُّكَ دمعُها

أذكي الكرامة

فانتفضتُ

وكلُّ حرٍ

سوفَ ينهضُ

طوْدُ صبرٍ شامخاً

في وجه صحراء المجازر

شِرْعَةُ الكفر البواح

فلا يحلم الغاصب بأن يستسلم الشعب الفلسطيني، أو يبيع نفسه، كيف يحدث ذلك وقد أرضعت الأمهات الكرامة وعدم الخنوع للرضيع؟ فدماءً تغذتُ بهذه الطريقة سوف تسحق جهابذة الخضوع، تقول (إيمان بدران) في قصيدتها (وهج الدماء):⁽²⁾

لا تحلموا أبداً بأننا قد نُسَلِّم أو نبيع

لا تحلموا...

فالأمهاتُ بأرضنا تسقي الكرامة للرضيع

لا تجزعو فدمائنا لعناتها سحقت جهابذة الخضوع

لا للركوع

(1) ديوان الفرقان، ص541.

(2) السابق، ص567.

المبحث الثاني: الصمود والمقاومة

عرف عن المرأة رقتها ونعومتها، فهي مخلوق مفعم بالإحساس، لكن هذا المخلوق وهبه الله تعالى - إلى جانب ذلك - من القوة ما تذهل له العقول، ومن التجلد والصمود ما يفوق كثيراً من الرجال.

وشواهد التاريخ كثيرة، فتلك (زنوبيا) ملكة تدمر، "التي حكمت مملكة مترامية الأطراف امتدت حتى آسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين ومصر، وكانت هذه المرأة ذات رأي وحكمة، وذات بأس وشدة وبعد نظر" (1).

وممن اشترك في المعارك وحملن السيوف (خولة بنت الأزور)، فقد "كانت تفوق الرجال في الفروسية والبسالة، ولها وقائع خلدها التاريخ" (2).

وفي وقعة (أجنادين) كان (خالد بن الوليد) في طليعة من جنده يقاتلون الروم، فإذا بفارس ملثم لا يبين منه إلا الحدق، يقذف بنفسه ولا يلوي ما وراءه، فقال خالد: ليت شعري من هذا الفارس؟

أتدري من يكون؟ إنها خولة بنت الأزور، حتى انقلب الروم على أعقابهم خاسرين، وقائلهم يقول: إن أمة تلك نساؤها لن تغلب. (3)

لقد بزغ نجم المرأة ساطعاً في عصر النبوة؛ لما أبدته من صمود في مقاومة الكفر وأذياله حيث جاء في الحديث الشريف:

" حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل، عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنسقي القوم ونخدمهم، ونرد الجرحى، والقتلى إلى المدينة" (4).

ولم يقف دور المرأة عند ذلك فقد خاضت غمار المعارك وأثخنّت في قتل الأعداء كما الرجال الصناديد مقبلة غير مدبرة، وما كان من أسماء بنت يزيد بن السكن يوم اليرموك وقتلها تسعة من الروم.

(1) سهام عبد الوهاب الفريح، المرأة العربية والإبداع الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: (1431هـ - 2010م)، ص 11.

(2) أ. د. نبيل أبو علي، شاعرات عصر الإسلام الأول، ص 96.

(3) ينظر: ابن الهاشمي، تصدير محمد الغزالي، الداعية زينب الغزالي، مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، دار الاعتصام، (1409 هـ - 1988م)، ص 181، بتصرف.

(4) صحيح البخاري، بعناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط/1: 1422 هـ، باب: فضل الجهاد والسير، ص 34.

" حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن مهاجر وعمر بن مهاجر عن أبيهما، أن أسماء بنت يزيد بنت السكن عم معاذ بن جبل قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها" (1).

أما المرأة الفلسطينية فقد قاومت المحتل الصهيوني، وصمدت في وجه العواصف الهوجاء، فخرجت إلى الشارع معلنة عن غضبها "ومن التظاهرات التي قامت بها المرأة التظاهرة التي جرت في القدس، والتي اشتركت بها مئات السيدات في العام (1929م)، حيث توجهن في مسيرة بالسيارات إلى مقر المندوب السامي في القدس وطالبن بإلغاء وعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين" (2).

وقد صور الشاعر (إبراهيم طوقان) تلبية المرأة لصرخة الوطن والإضراب الذي عم أنحاء فلسطين بمناسبة تصريح بلفور المشؤوم الكئيب في قصيدة (البلد الكئيب): (3)

بشراك يا وطني فقد نهضت بك الغيد الأوانس

حيث جموع الغانيات عيون نرجسك النواعس

.....

وطني ظفرت إذا النساء هتفن باسمك في المجالس

وقد شاركت المرأة الفلسطينية في التنظيمات والأحزاب، " فلم تتوان المرأة الفلسطينية في استغلال أية فرصة لإثبات انتمائها وعطائها لشعبها وقضيتها العادلة" (4).

وقد جسد الشاعر (سليم الزعنون) وقوف المرأة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الرجل في ساحات الوغى، حيث يقول (5).

وعظمتو زحف الحديد بفتيةٍ بأجسادهم صدوا مع الفتيات

(1) الطبراني، المعجم الكبير، حققه: حمدي عبد الحميد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط/1404: 2-1984 م، ج 24، ص 157.

(2) غازي الخليلي، المرأة الفلسطينية والثورة، ص 78.

(3) إحسان عباس، إبراهيم طوقان (الأعمال الشعرية الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/2، 1993 م، ص 120. ومحمد شحادة عليان، الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط/1: 1987 م، ص 129.

(4) محمد يوسف الحافي، المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة (1994م-2006م)، رسالة ماجستير إشراف د. مخيمر أبو سعده، 1430 هـ - 2009 م، ص 46.

(5) سليم الزعنون، ديوان وهكذا نطق الحجر، ط/2001م، عمان، الأردن، ص 260.

حرائر شعبي كالرجال تدافعت وتقتضي انتصار في ربيع حياة
وقاومت المرأة بشعرها أيضاً فظهرت الثورة والقومية والتحفيز على القتال في أشعار ثرية
المعاني ومنهن مي صايغ و فدوى طوقان.

فقد دوى صوت الحرية الذي حفرته فدوى طوقان في كل مرتفع ومنحدر وهتف به كل مسلم
ومسيحي في قصيدة (حرية الشعب)، تقول: (1)

حريتي حريتي حريتي

سأظل أحفر اسمها وأنا أناضل

في الأرض في الجدران في شرف

المنازل

في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع

إن المقاومة والصمود تتجلى بوضوح في الانتفاضة، فقد رشقت جنود العدو بالحجارة، وألقت
الزجاجات الحارقة؛ مما عرضها للضرب والاعتقال والتعذيب على أيدي الجنود الإسرائيليين، "ومما
كتبته الدكتورة (لويز كنيكر) تحت عنوان رحلتي إلى فلسطين والذي يوضح دور المرأة الفلسطينية
في الانتفاضة تقول: "تشارك النساء في الانتفاضة اشتراكاً كاملاً، سواء بصنع الأعلام الفلسطينية
من قطع القماش أم بالتظاهر حسب خطط القيادة وقد ابتكرت طرقاً لحماية المتظاهرين من الضرب
والاعتقال.

فعندما يبدأ الجنود بضرب أحد الصبيان يتجمعن حول الجنود ويهجمن عليهم، وتدعي كل
منهن أن الصبي هو ابنها" (2).

عرف الاحتلال دور المرأة النضالي؛ فلم يرحمها، وزج بها في أتون السجون وغياهب
المعتقلات وقام الجيش الإسرائيلي بحملات اعتقال في صفوف النساء.

" إن معاناة المرأة الأسيرة تتعدى الوصف، فهي الأم التي أنجبت أطفالها داخل السجن،
وهي المرأة التي صبرت سنوات طويلة حيث قضت الأسيرات مُدداً تزيد عن العشر سنوات " (3).

(1) فدوى طوقان، ديوان الليل والفرسان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988 م، ص 554.

وينظر: رجا سميرين، شعر المرأة العربية المعاصر، ص 478.

(2) أكرم أبو سمرة، المرأة الفلسطينية، درس في الانتفاضة، مطبوعات الإعلام الموحد، تونس ط/1: 1989م، ص
34.

(3) عوني محمد العلوي وعبد الحميد جمال الفراني، أعلام النساء الفلسطينيات، بحث غير منشور، ص 532.

ومن أسيرات عام (1969م) (سارة إبراهيم بركات) حيث "ساقوها إلى محكمة عسكرية موجهين إليها عدد من التهم منها:

تنظيم المظاهرات وتوزيع المنشورات وحض الشعب على كره الاحتلال والحض على الإضراب وتسميم الرأي العام"⁽¹⁾.

وعن صمود المرأة الفلسطينية ومقاومتها الاحتلال يقول الشاعر (معين بسيسو):⁽²⁾

أماه إن عاد أبطال الكفاح على موج الكفاح الذي يعلو ولم نعد
ويسأل الشارع الولهان: أين مضوا؟ ما بين مختطف ليلا ومفتقد
أماه مهما احتواني القيد منفرداً فإنني بنضالي غير منفرد
ولم تخل سجون الاحتلال من النساء فقد أسر ما يقارب من عشرة آلاف امرأة فلسطينية
منهن الكبيرات في السن والأمهات وكذا الصغيرات في عمر الزهور. "ويبلغ حالياً عدد الأسيرات
عشر معتقلات... ويتواجدن في سجن النساء في الرملة وفي مراكز التوقيف في ظروف صعبة
حيث تم وضعهن في قسم السجينات الجنائيات ويتعرضن لاستفزازات يومية"⁽³⁾.

إن المجتمع الذي أعطى المرأة قدسية لحقيق أن يدحض مزاعم المنكرين على المرأة خروجها
لساحة النضال وتوقعها في غياهب المنزل و" إن أسوأ جناية على الأمة أولاً وعلى المرأة ثانياً في
العصر الحاضر أن نوهمها بالدونية ومن ثم نحرمها من الدفاع عن نهجها السياسي وغايات أمتها
العليا"⁽⁴⁾.

وفي مخيم جنين استخدم الجنود المرأة الفلسطينية دروعاً بشرية " فهناك لطيفة أبو زيد
وعمرها خمس وستون عاماً التي أجبرت مرتين على مرافقة جنود الاحتلال؛ لفتح الأبواب وتفقد
المنزل، وفي المرة الثانية تركها الجنود على سطح أحد المنازل الذي أجبروها على الدخول إليه
قبلهم عبر فتحة أحدثوها في جداره"⁽⁵⁾.

(1) أوراق عارف العارف، المجموعة الثانية، المعتدون في السجون الإسرائيلية من أبناء فلسطين 1967م-1972م،
مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ص254.

(2) معين بسيسو، قصائد مختارة، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ص45.

(3) عوني العلوي وعبد الحميد الفراني، أعلام النساء الفلسطينيات، ص533.

(4) أسماء محمد أحمد زيادة، دور المرأة السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، دار السلام
للطباعة، ط1: 1412 هـ - 2001م، ص270.

(5) أمين المبيض، جنين غراد، الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم، نيسان، 2002م، ص166.

وفي حرب الفرقان ضربت المرأة الفلسطينية مثلاً حي للصمود إذ استخدمت أيضاً كدروع بشرية، وتصف لنا امرأة فلسطينية المعاناة والقهر الذي تعرّبت له في حرب غزة وفيه:⁽¹⁾

يتعرى الجنود الصهاينة من عباءة الأخلاق ويمارسون السادية والنازية وهم قابعون في دباباتهم يقول الشاعر (سعد الغامدي) في قصيدة (صمود غزة):⁽²⁾

القابعين وراء جُذُرِ حصونهم القاتلين طفولاً ونساءً
الساقطين دياناً وخلائفاً الشاربين قذارةً ودماءً
الخانئين الخاذلين نبينهم السافكين مكارماً وإخاءً
ويفخر الشاعر (لواسع السقاف) بنساء غزة، فهن كالكواسر لو أتيح لهن حمل السلاح في قصيدة (متى تغضب؟) يقول فيها:⁽³⁾

نساؤك يستشطن الآن غيظاً وتصطف النساء وأنت خائر
ولو مُكِّن من حمل السلاح لُكُنَّ بأرض غزة كالكواسر
أرى لا فخر في رجلٍ ضعيفٍ ولكن في النساءِ أنا أفاخر
والأم الفلسطينية صامدة فهي أقوى من الريح، بل أقوى من جحفل لجب، فهي تغزل الأكفان في ولِّه، وتستقبل شهداء الوطن في طرب يقول (محمد براج) في قصيدة (شد الزناد):⁽⁴⁾

أجلُ حرفٍ أنا قد صرتُ أكتبه صمود غزة في شعري وفي أدبي
صمودُ أمِّ لها دمعٌ تؤجله فالطفل ساءلها يا أمِّ أين أبي؟
يا أمِّ أعياد ميلاد بطائرة غطت على دميتي واستهدفت لعيبي
يا أمِّ أين هدايانا وحلوتنا قومي اسمعي الصوت يا أماه عن كئيب
وزغردت تغزل الأكفان في وله واستقبلت شهداء المجد في طرب
قلبي بربك أمِّ تلك أم جيل؟ أقوى من الريح بل من جحفل لُجبِ

(1) ينظر : راوية البورنو، الحرب على غزة، دار فادي للنشر، عما، 1/6: 2009م، ص37. والمرأة هي أسمان علي النجار، (41) عاماً متزوجة ولها (7) أطفال وما حدث معها كان في 2009/1/13، وقد طلب منها جنود الاحتلال التعري وخلع ملابسها لكنها رفضت وحاولت استفزاز الجنود لقتلها.

(2) لأجلك غزة، ص213.

(3) السابق، ص332.

(4) السابق، ص434.

إن الصبر على عتمة الأسر والتجويع والقهر، وفقد الأحبة يعكس صورة مشرقة لسمود المرأة الغزية خلال الحرب، فهذه الجدة الطاعنة في السن تحث على الصبر بعد أن تجرعت، فهي تُقَيِّتُ مَنْ حَوْلَهَا بِالماءِ وَالتمر، يقول (محمد أبو دية) (1):

وَإِذَا كَرَّ الْوَفَاءُ مِنْ أَحْبَبْنَا وَبِنَاتِنَا فِي عَتْمَةِ الْأَسْرِ
كَمْ حَرَّةٍ فَقَدْتُ أَحْبَبْتُهَا صَبَرْتُ عَلَى التَّجْوِيعِ وَالْقَهْرِ
كَمْ جِدَّةٍ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا صَبَرْتُ وَتَدْعُونَا إِلَى الصَّبْرِ
حَدَبْتُ عَلَى الْأَيَّامِ تَحْرُسُهَا وَتُقَيِّتُهُمْ بِالمَاءِ وَالتَّمْرِ

إن القلوب أضناها السكات والعين تهزها قلوب الصامدات الصابرات، فقد ارتدى في غزة رداء المقاومة كل من الطفل والشيخ، والأمهات تعتق الردى؛ فالكرامة في المقاومة، ففي قصيدة (قاوم) للشاعر (رائد عبد اللطيف) يقول فيها: (2)

قاوم

فإن القلب أضناه السكات

والعين هزتها قلوب الصامدات الصابرات

قاوم

فأنت الطفل.. أنت الشيخ

أنت الأم تعتق الردى

أنت كرامة

لم تلقَ فينا سيّدا

إن البوارج والطائرات الحربية التي دكت غزة لن تَقُتَّ من صمود النساء الفلسطينيات، فسلاحن أقوى من سلاح العدو، فالعدو يقتل والفلسطينية تنجب الأطفال وتكثروهم وتصمد على ضنك العيش فتطعمهم من لحمها وتسقيهم من روحها.

ففي قصيدة (ديوان غزة.. من الفسفور إلى الزاجل) للشاعر (عيسى الرومي) يقول فيها: (3)

لا. لن تميلَ خيوطَ ردائيَ البوارجِ والطائراتُ

(1) لأجلك غزة، ص 405.

(2) ديوان الفرقان، ص 561.

(3) السابق، ص 416.

أنا من تُعدّل بوصلة الأمة المائلة

لغزة أطفالها

ونساءً يُكثّرُنهم

ويُطعمنهم لحمهنّ

ويسقّينهم روحهنّ

ويحدثنا (منير الريراكي) عن صمود الأم في غزة وهي تحكي قصة استشهاد بناتها، فأخجله ما سمع من الأبيّة، وأذهله صمودها وصبرها وهي ترتل آية الذكر الحكيم فيسهل الخطب، وكم نساء دأبهن الشجاعة والصمود، في حين يفتقد كثير من الرجال الحزم، في قصيدة جعل عنوانها الصبر والاعتذار، (صبراً غزة وعذراً) يقول فيها: (1)

| | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| وأسمع صوت الأم يا لصمودها | تُكفّف دمع العين والقلب مرجلُ |
| وأسمعها تحكي لنا عن بناتها | قَصَيْنَ كما تدوي الزهورُ وتذبلُ |
| ولا مَنْ يعي هول المعاناة غيرُها | وفي قولها أيّ الكتاب يرتلُ |
| فلا تهنوا جبناً ولا تحزنوا أسى | إذا رضي الرحمنُ فالخطبُ يسهلُ |
| خجلتُ وفي قول الأبيّة ما يشي | بأن خيار الموتِ أولى وأطولُ |
| وكم من نساءٍ دأبهن رجولةٌ | وكم نكراً في الحزم لا يترجلُ |

هاهو الشعب أوقد جمر المعركة، فهبت النسوة أسوداً تزأر، لا تتخاذل ولا تلين والكل أقسم اليمين على الجهاد والتصدي للعدو بكل عنفوان وصبر. ففي قصيدة (قسما) للشاعر (صبحي ياسين) يقول فيها: (2)

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| الشعب أوقد جمرها يا معشرُ | والنسوة انطلقت أسوداً تزأرُ |
| قد أقسم الشعبُ اليمين مجاهداً | الله فوق الظالمين وأكبرُ |
| كُلّ المساجد والمآذن أقسمت | حتي الحجارة رددت والمنبرُ |
| قسماً ونور الحق في جبهاتنا | وبكلّ باكيةٍ تننُّ وتزفرُ |

(1) ديوان الفرقان، ص 226.

(2) السابق، ص 152.

نعم أعلنتها المرأة الفلسطينية صرخة مدوية اهتزت لها الأرض، فهي قادمة وبعزيمتها للشر هازمة وهي تنق بأن السيل يجرف من أنك عزيتمهم الجبن والخور يقول (عبد الله جدي) في قصيدته (أعلنتها صرخة يا أم فانتفضي): (1)

أعلنتها صرخة يا أم فانتفضي فالأرض مالت وتلك القوم تنتظر
وأنت قادمة للشر هازمة ويجرف السيل من في عزمهم خور
إن (جميلة الرجوي) في قصيدتها (يا بنت غزة) تبين صمود المرأة الغزية في الحرب،
وتصفها بأنها الفخار لكل من يقود النضال إذ ترسم فوق محياها العزيمة والصمود فالنصر لا
محالة واقع كما وعد الله تعالى، فهي تقول: (2)

أنتِ الفخار لمن يقود نضالنا ويطهر الأجواء من نخاسنا
الله أودع في المآقي عزة
فوق المحيا تستريح عزائم
يا بنت غزة يا رحيق قلوبنا
المرأة الفلسطينية صامدة عصية على الانكسار، فهي رغم القصف الهجمي لن ترفع راية
الاستسلام وترفض الإسار وفي قصيدة (فلسطينية تحت الأنقاض) يقول الشاعر (بشير حاج
يحيي): (3)

إن تدركوني تدركوا

بعض البقايا من ذمار

وحمية تأبى برغم القصف

ذل الانكسار

لم أرفع الرايات بيضاء

ولم أرض الإسار

(1) ديوان الفرقان، ص 150.

(2) لأجلك غزة، ص 602.

(3) موقع أدباء الشام، بشير حاج يحيي. Yahyahaj@hotmail.com.

المبحث الثالث: مصابة وشهيدة

إن مشاركة المرأة في المعارك لم يكن بدعا أو أمرا مستحدثا، فقد شاركت المرأة في القتال في الجاهلية؛ لتقي نفسها جحيم السبي، وتأثر لقومها.

أما في الإسلام وقد توحدت الرايات، وأصبح الهدف نبيلاً مقدساً ولتكون كلمة الله هي العليا، " لقد خرجت المرأة مجاهدة على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمباركته لهذا الخروج، وبدعائه للمرأة الصحابية بالجهاد، بل والشهادة التي هي الثمرة العظمى المطلوبة في الغزو"⁽¹⁾.

وممن شارك في الغزوات الرُميصاء (أم سُليم)، الطاعنة بالخنجر في الوقائع، أما نسيبة بنت كعب (أمُ عمارة) فقد " شهدت أحداً هي وابنها وزوجها، وشهدت بيعة الرضوان واليامة، وقطعت يدها فيها " ⁽²⁾.

والمرأة الفلسطينية كما جداتها الأوائل على طريق الحق يتساقطن كحبات اللؤلؤ شهيدات تعانق أجسادهن التراب المقدس في أرض الرباط فالشهيدة (فاطمة خليل غزال) وهي بطلة إسبرطية فقد استشهدت في معركة (وادي عزون) حيث اشترك فيها ثلاثمائة جندي بريطاني، وأصاب الثوار طائرة في محركاتها فسقطت في مطار اللد⁽³⁾.

أما الشهيدة (مريم الهيصبة)⁽⁴⁾ فهي أبية ذات شجاعة نادرة، " رأت جندياً يضرب أحد الشبان الفلسطينيين، فألقت الخبز على الأرض وهجمت على الجندي فلطمته، وأبعدته عن الشاب فأطلق الجنود النار عليها فاستشهدت"⁽⁵⁾.

ومن الشهيدات العسكريات (شادية أبو غزالة) ⁽⁶⁾ فقد قامت بعملية فدائية، وهي "تسف باص إسرائيلي تابع لشركة إيجد وقد كانت في البيت تعد قنبلة؛ لتفجيرها في عمارة إسرائيلية في تل

(1) أسماء زيادة، دور المرأة السياسي، ص 270.

(2) إبراهيم محمد الجمل، حياة المرأة المسلمة (منهاج شامل لحياة النساء في الدنيا والآخرة) دار الحبل، بيروت، لبنان، ط/1: 1417 هـ - 1997 م، ص 24.

وينظر: السابق ص 229.

(3) ينظر: وفيقة حمدي الشاعر، كفاح المرأة (على الصعيدين العالمي والعربي الفلسطيني، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني، ط/1:

1973 م، دمشق، سوريا، من ص 122 - ص 125، بتصرف.

(4) من غزة، وكان عمرها (30) عاما، وكانت عائدة من الفرن تحمل طبق الخبز على رأسها حين حدث ذلك.

(5) ميسون العطاونة الوحدي، المرأة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي، جمعية الدراسات العربية، القدس، فلسطين، 1986 م، ص 137.

(6) من نابلس، ولدت عام (1949 م)، واستشهدت في 28 تشرين الثاني عام 1968م.

أبيب، ولكنها انفجرت بين يديها واستشهدت" (1).

ولم يشف استشهادهما غليل الاحتلال بل،" قام الصهاينة بنسف منزل أسرتها بعد استشهادهما" (2).

وسطر لنا حلمي الزواتي ملاحم البطولة لهؤلاء المناضلات، وصنوف التعذيب الذي لقينه من الأعداء فكتب قصيدته (لبوءات الفدا) يقول فيها: (3)

وكذا فاطمة قضت

ذا من جديد

قد خضبت سفح الجبال بدمها

نور أشع وزهرة العمر البعيد

قد جدلت فوق الحمى

برصاصة

فهوت تقبل تربة الحق

التلديد

وكذا فشادية قضت في دريها

أما التي كانت بصمة مميزة في تاريخ الجهاد الفلسطيني وهي (وفاء علي خليل إدريس) (4) التي كان لها فضل السبق لتكون أول استشهادية تفتح أفاق الاستشهاد النسائي على مصراعيه، "فقد أمسكت بعبوتها الناسفة التي احتوتها إحدى حقائبها، ودخلت أحد المحال التجارية الصهيونية بكل هدوء وسكينة وإصرار، ورباطة جأش؛ ليُدوي بعدها الانفجار الذي هز المنطقة بأسرها وحول حياة الصهاينة إلى هلع كبير" (5).

(1) ميسون العطاونة الوحيدي ، ص 138.

(2) الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، صور من نضال المرأة الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1975 م، ص 63.

(3) حلمي الزواتي، عبير الدماء، مكتبة الخلود الكبرى، ط/1: 1973 م و ط/1976: 2 م، ص 107.

(4) استشهدت يوم الأحد الموافق 27 كانون ثاني 2002 م، في القدس في شارع يافا.

(5) غسان دوعر، خنساء من فلسطين، مركز الإعلام العربي، الجزيرة، مصر، ط/1: 1429 هـ - 2008 م، ج/1،

وقد أهدى الشاعر صالح فروانة قصيدة (لا يلام السنونو) إلى روح وفاء، يقول فيها: (1)

(وفاءً مقدسياً

طلعت من بينهم

كطلوع القدر المحتوم

أو الزلزال

أما (ريم صالح الرياشي) فقد نفذت عمليتها في معبر بيت حانون (إيرز)، " وقدمت نموذجاً فريداً، أنصف المرأة وأثبت كفاءتها وقدرتها، وأهليتها لتحقيق بذلك حزمة أهداف بصرية واحدة" (2).
إن فكرة الاستشهاديات راودت كل ذات حس وطني جريء حيث انصرف الذهن عن اللهو، وغرام الشباب وأهوائه الطائشة إلى ما هو أرقى من ذلك.

وفي حرب إسرائيل المسعورة على غزة (الرصاص المصبوب) كما أطلقت عليها إسرائيل فقد قتلت خلالها مائتين وإحدى عشرة شهيدة، وجرحت ألف ومائتين وسبعة وسبعين من الإناث، أي بنسبة (15.5%) من عدد الشهداء، و(24.22%) من عدد الجرحى (3).

هذه الجرائم التي هزت مشاعر العالم بشكل عام والوطن العربي بشكل خاص فقد ذكّر (عبد الرحمن العشماوي) العرب بأمجادهم في غابر الزمان وفاخر بالمرأة الفلسطينية التي بلغت ما لم يبلغه الرجال؛ فقد دفعها القهر والظلم إلى أن حزمت بالنار والبارود جسدها لتنتأر من الباغي يقول في قصيدته (حصار غزة): (4)

ورأوا بنتَ ربيع العمر أقوى
أعلنت أشلاؤها فينا بياناً
بلغت ما لم يدانيه رجالٌ
حزمت بالنار والبارود جسماً
من رجال آثروا الصمت وأكرم
واضحاً أسمى من القول وأعظم
سيفهم في نصرة الحق مُلتم
هزّت الباغي به والله يرحم

(1) صالح عمر فروانة، مفردات فلسطينية، إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2011 م، ج/2 (انتفاضة الأقصى)، ص 73.

(2) إسماعيل عبد اللطيف الأشقر و مؤمن محمد غازي بسيسو، المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، المركز العربي للبحوث والدراسات، 1425 هـ - 2004م، ص 19.

(3) ينظر: سعاد الدعالة وأخريات، التوثيق الإحصائي لجرائم الحرب الإسرائيلي على غزة ص14- ص15، بتصرف.

(4) لأجلك غزة، ص289.

إنَّه القهْرُ رماها فاستحالتُ
جذوةً تعصفُ بالقول المُرجمُ
المجرم القاسي الذي سدد رصاص الغدر في صدر الطفلة؛ ظناً منه أن يستريح بالخلاص
منها فحرمها المجرم الجبان أن تلهو بأمان وانتهك براءتها وقد بيّن ذلك عبد الجبار دية في قصيدته
(بأي ذنبٍ قتلت) إذ يقول فيها: (1)

سدد الغاصب في الصدر

رصاصاً

ظناً في إزهاقها يلقي

خلاصة !

يا له من مجرمٍ قاسٍ جبانُ

حرم الطفلة تلهو بأمان

وجهها.. يحكي البراءة

ملء عينها.. نكاء

وعلى الثغر سؤال.. وإباء

إنها من أرض غزة

إنها من نسلِ عزة

لا تصدق أنها اليوم قتيلة

هي والله شهيدة

هي والله شهيدة

امتازت حرب الفرقان بالدموية والنازية، والقتل الجماعي المتعمد لعائلات بأكملها، منها
مجزرة عائلة (عبد ربه) حيث استشهدت السيدة (رندا جمال عبد ربه)، وابنها وسبعة من أفراد
عائلتها.

وكذا قضت صواريخ البغي على عائلة كاملة ارتقى أفرادها فارتقوا إلى العلا شهداء وجلهم

(1) لأجلك غزة، ص 277، 278.

من النساء. (1)

إنها الجثث والأشلاء التي تناثرت، فالنساء مزق أجسادهن القصف، فتلك يد مقبوضة تحت الثرى فيها بقايا مسفع وخمار إنها ليلةً حالكة السواد، خاويةً إلا من الآلام والأكدار، ففي قصيدة لا تياسري يا غزة أظهر لنا (عبد الرحمن عشاوي) تلك الصورة المأساوية إذ يقول: (2)

أين النساء؟ روى الدمار حكايةً
عن راحة مقبوضة تحت الثرى
يا ليلةً سوداءً أفقر صمتها
عن معصمٍ وحقيبةٍ وسوارٍ
فيها بقايا مسفعٍ وخمارٍ
إلا من الآلام والأكدارٍ
.....

من أي بحرٍ يستقي الليل الدجى
وبأي ثغرٍ تنطق الدار التي
ومتى تسير مراكب الإبحار؟
فجعت بموت جميع أهل الدار؟

ولم تترك يد البغي المرأة الفلسطينية وتواصلت عمليات القتل البشعة، فحوّل صاروخ حاقد أربع زهرات (3) في مقتبل العمر وكذا طفل إلى أشلاء، يقول الأب: "كنت برفقة ابنتي وفي طريقنا إلى المنزل، التقنا بصديقتيهما من عائلة (معروف)، وكان برفقتيهما طفل صغير، فابتعدت قليلاً عنهن، وفي تلك الأثناء حدث القصف؛ فاهترت بنا الأرض ولم أع ما يدور حولي وبعدها أفقت فرأيت جثث بناتي مقطعةً إلى أشلاء وبالقرب منهما أشلاء الطفل والفتاتين" (4).

القصف متواصل والأم مصابة، جرحها نازف والأخت يداس عافها والعرب يغضون الطرف فهم نيام، هذه (هند سالم باخشوين) في قصيدتها (الأثم؟؟؟) تقول فيها: (5)

فغزة تقصف

وأمي تنزف

(1) هي عائلة عطا الرُميلات والشهيدات هن: الطفلة الرضبعة أريج عطا الرميّلات (2) شهر وأختها صابرين (14) عامًا والأم أمل عيد اشتيوي (28) عامًا وجدتهن عائشة الرميّلات (65) عامًا ومعهن الطفل براء الرميّلات عام واحد.

(2) لأجلك غزة، ص 290.

(3) هو أحمد غبن والشهيدات هن: الشقيقتان سحر أحمد غبن (17) عامًا وخوله أحمد غبن (15) عامًا والصديقتان: مها ياسر معروف (17) عامًا وابنه عمها فاطمة محمد معروف (14) عامًا والطفل هو هيثم ياسر معروف (11) عامًا.

(4) هبة حمدان وأخريات، الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية في حرب الفرقان 2009 م، مركز نساء من أجل فلسطين، ط/1:1413 هـ-2010م، ص163.

(5) ديوان الفرقان، ص 420.

وأختي عفاف العفاف

تداسن

وقومي

نيام

نيام

نيام

إن الحقد الإسرائيلي لم يمهل الأم لتضع وليدها؛ لذا لاحقه قبل أن يرى الحياة، وسال لعبه لقتل الأم ورؤية الجنين قتيلاً أيضاً، فهذا القتل لا شفقة فيه، ومارسه هؤلاء الصهاينة الرعاع إذ بقروا بطون الحوامل بشكل متواصل، فنحن في غزه أمام آلاف من الشهداء هم ضحايا العنف والحقد الدفين.

قصيدة (بشائر النصر الغزي) لـ (جميل الكنعاني) جاء فيها: (1)

فكم شبلٍ خسرتَ وكم رضيعٍ لفقدِ الأمِّ أغرقَ في الأنينِ
غزا الهمجِ الرعاعِ ديارِ قومي وقد بقروا البطون مع الجنينِ
وآلافٌ من الشهداءِ باتوا ضحايا العنفِ والحقدِ الدفينِ
لهم عدنٌ من الغفار مأوىً بجناتِ الخلود مع الأميينِ

وذات المشهد يكرره لنا (أحمد حسين مفلح) فالحرب لم تثنِ الأمَّ عن إرضاع وليدها فاستشهدت وقد تشبث رضيعها بإزارها وجيوبها فقد تقطع الرضيع أسى وهو يئن على صدر أمه ففي قصيدة (غزة تنتصر على المحرقة) حيث يقول: (2)

براعمُ يا فداك أبي وأمي كأوراق الخريف على الدروبِ
أمدُ يدي لمدرسةٍ تهاتت لمذنبةٍ تنخُّ على الكثيبِ
لأمِّ فارقت ولها رضيعٌ تشبثت بالإزار وبالجيوبِ
لأيامٍ خلّت مازالَ حياً يلوبُ أسى على الصدر الحبيبِ

(1) ديوان الفرقان ، ص 314.

(2) السابق، ص 56.

إنها الصورة القبيحة للحرب؛ حيث نساء بلا أرجل، نساء معاقات تشجي القلوب، فما من عذر للمسلم يبرر به تخاذله وتقاعسه عن نجدة أهل غزة، إنها الحسرة، فكأن الشمس انطفأت وغيض الماء في بئر زمزم. في قصيدة (صمودا فداكم دمي) إذ يقول (مكي النزال):⁽¹⁾

جميلةً باتت بلا أرجل كـ (سالي) وشيما وال (منعم)
فيا حرَّ قلباهُ ماذا أرى؟ وما العذر يا قوم للمسلم؟
لعمري كأن الشمس انطفئت وبان الجفافُ على زمزم

(1) لأجلك غزة، ص532.

الفصل الثاني

المرأة الثكلى

المبحث الأول: هدم المنزل أو تجريف الأرض

المبحث الثاني: استشهاد الابن أو الزوج أو أحد الأقارب

المبحث الثالث: صور أخرى للمرأة الثكلى

المبحث الأول: هدم المنزل أو تجريف الأرض

هدم المنزل:

منذ قيامها وإسرائيل - بكيانها السرطاني- تمارس سياسة تجريد الأرض من سكانها الأصليين، فهي تطبق مقولتها الباطلة عن فلسطين (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، فالنفي للفلسطيني مع هدم بيته مبنغي إسرائيل وغايتها، والبيت "هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، سواء أكان مبنياً من حجر أو من لبن وطين، أو من الإسمنت العادي أو المُسلَّح بالحديد، وسواء أكان مؤلفاً من طابقٍ واحدٍ أو طابقين أو غرفة واحدة أو غرفتين وسواء أكان يسكنه شخصٌ واحد أو أسرة بكامل أعضائها" وليس، يعني أن يكون المجرمون قد هدموه، هدماً بالفأس والمعول أو جرفوه جرفاً، وكثيراً ما يستعمل الإسرائيليون الجرافات الكبيرة المعروفة بـ (البلدوزر) أو نسفوه نسفاً بالبارود والنار⁽¹⁾.

فهذه المنازل وضياع الدار (المأوى)، هو اعتداء سافر على المرأة الفلسطينية في عقر دارها، ومصادرةً لأحلامها، وتجريدها من واقعها، ومن بيتها الآمن المستقر الذي تعشش فيه على صغارها، وتسهر على راحة زوجها، وتعود بذكرياتها لذلك البيت الجميل فتتردد في أعماقها:⁽²⁾.

ما أجملهُ كان المأوى يأويننا من شرِّ الحرِّ
ويقيننا البردَ بـكانون ما أجملهُ بيتُ العمرِ
لذا فقد ناشد الشاعر محمد صيام الأم الفلسطينية بألا تبكي على هذا الدمار؛ لأن الخصم يطربه بكاؤها، يقول:⁽³⁾

هدم المنازل من جرائم هولاء الأشقياء

والضرب حتى الموت في حقد وظلم واقتراء

و ملاحقاتٍ في الصباح لأهلنا أو في المساء

(1) أوراق عارف العارف، (المجموعة الثالثة) الدور التي هدمها الإسرائيليون، غزة نافذة على الجحيم، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ص 469.

(2) لجنة شؤون المرأة، الخنساء أم الشهداء، نقابة الصيادلة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، ط/1: 1990 م، ص 15.

(3) محمد صيام، ملحمة الانتفاضة، مركز الرابطة العربية للنشر و التوزيع، الكويت، ط/1: رمضان، 1410هـ- 1990م، ص 60.

لم ينج من هذا الصغار ولا الكهول ولا النساء

أما لا تبكي فإنَّ الخصمَ يطربهُ البكاء

دمرت إسرائيل منازل المواطنين الأمنيين، فلجأوا إلى مخيمات ضربت أوتادها في الداخل والشتات، وانتهكت إسرائيل الحرمات، ولم يحرك ذلك في العالم ساكناً ففي قصيدة (نداء طفل الحجارة) للشاعر فارس مشتهدى التي يقول فيها: (1)

وَنَزَعُ السِّتْرَ عَن رَأْسِ الْعِذَارَى يُجَابِبُهُ بِالْجَفَوَنِ الصَّامِتَاتِ
وَهْدَمَ الْبَيْتَ فَوْقَ الْأَهْلِ ظَلْمًا بَدَا فَعَلًا رَتِيبًا مِّنْ طُغْيَاةِ
وَقَتْلُ النَّفْسِ لَمْ يَوْقِظْ بِأَهْلِي مَشَاعِرَ مِّنْ هَوَى قَوَى الْجَفَاةِ

وغاية إسرائيل من نسف المنازل ما هو إلا طمس للوجود الفلسطيني بصورة قسرية، فهذه سياسة قديمة حديثة يعرفها العدو نفسه، "ذكرت جريدة يديعوت العبرية استناداً إلى مصادر أمنية أنه منذ عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين تم هدم ألف ومائتين وثمانية وخمسين منزلاً في الضفة الغربية وقطاع غزة لأسباب أمنية " (2).

ولم تسلم مدينة القدس من تلك العمليات الإجرامية ففي، "التاسع والعشرين من يونيو عام ألف وتسعمائة و واحد و ثمانين هدم منزل الأرملة زهيرة عبد الرازق السلايمة، (60) عاما، من القدس والحكم عليها بالسجن أربعة أشهر وبغرامة مالية مقدارها ستون ألف شيكلا بحجة عدم حصولها على رخصة بناء منزلها " (3).

كم هو مؤلم أن ترى نفسك في العراء، تفتش الأرض، وتلتحف السماء، بلا مأوى إلا من خيام تقتلعها السيول ففي قصيدة(السيول)، يقول الشاعر معين بسيسو: (4)

إِنْ جِئْتَ تَسْأَلُ عَن أَطْفَالِهَا صَرَخَتْ وَفَهَّقَهُ السَّيْلُ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ
يَا مَنْ نَصَبْتَ لَهُمْ سَوْدَ الْخِيَامِ عَلَى صُفْرِ الرَّمَالِ لَقَدْ غَاصَتْ إِلَى الْأَبْدِ

(1) فارس مشتهدى، نبضات قلب من أرض الرباط، مكتبة ومطبعة دار الأرقم، غزة، فلسطين، 1425هـ -2004م، ص25.

(2) غازي السعدي و نواف الزرو وغسان كمال، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة (1981م)،الكتاب السنوي، هيئة الرصد والتحري، المؤسسة العربية، دار الجيل للنشر، عمان، ط/2:1 198م، ص 358.

(3) السابق، ص359.

(4) معين بسيسو، قصائد مختارة، ص 17.

ولإعطاء فكرة عن طريق نفس تلك القوات للمنازل ما صرحت به الفلسطينية نزهة خليل حسن زيادة⁽¹⁾، إذ هالهم صوت انفجار هز المنزل برمته، فتبينوا أن الإسرائيليين نسفوا المدخل واقتحموا عليهم باقي المنزل واقتادوهم مع أخ زوجها إلى غرفة واحدة، كانوا اثنين وعشرين شخصاً في حالة مزرية تشمُّهم كلاب الأثر، وقد أُصيبوا بحالة من الخوف والهلع، ثم أخرجوهم من الغرفة إلى بيت جيران لهم وقاموا بتفجير المنزل بشكل كامل و اعتقلوا زوجها.⁽²⁾

المنزل الذي ملكته نزهة (أم سهيل) تحول إلى ركام وأكوام من الحجارة.

إن تضحيتها " فاقت كل الحدود وكل منطق وعقل؛ فهي تجلس في خيمتها ترسل النظرات الممزوجة بالألم، والحزن تجاه حطام منزلها".⁽³⁾ تتأجج نيران قلبها، ولسان حالها يقول لهم:⁽⁴⁾

دَمَّرُوا بَيْتِي حَرَقُوا كَبْدِي

أَمْطَرُونَا بِوَابِلٍ مِنْ حَرَابٍ

لَنْ تَنَالُوا مِنْ عَزْتِي وَإِبَائِي

لَنْ تَعِيشُوا فِي تَلْتِي وَهَضَابِي

لقد ضربت إسرائيل باتفاقية جنيف وبنودها عرض الحائط، وخصوصاً ما جاء في مادتها الثالثة والخمسين والتي تنص على أنه " يحظر على دولة الاحتلال أن تدمر أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات "⁽⁵⁾.

واستمرت إسرائيل في نهجها السادي ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم، فقامت بمباغتتهم بنسف منازلهم، دون منحهم فرصة لإخلائها أو الخروج منها، "وصعدت عمليات نسف المنازل بالمتفجرات؛ ما ألحق أضراراً كبيرة تجاوزت في آثارها التدميرية المنازل المستهدفة؛ لتحدث أضراراً كبيرة في عشرات المنازل المجاورة للمنزل المستهدف "⁽⁶⁾.

(1) عمرها (55) عاما من جباليا ونسف منزلها فجر الخميس الساعة (3) الموافق 2003/3/5 م.

(2) ينظر: مركز الميزان لحقوق الإنسان، تقرير دوري يغطي الفترة من 2003/1/1 م-2003/3/31م، ص 12، بتصرف.

(3) غسان دوعر، خنساء في فلسطين، ج/2، ص 94.

(4) لجنة شؤون المرأة، الخنساء أم الشهداء، ص 15.

(5) مركز الميزان لحقوق الإنسان، تقرير حول جرائم قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق السكان المدنيين وممتلكاتهم في

الأراضي الفلسطينية المحتلة، غزة، 2003 م، ص 11.

(6) السابق، ص 12 .

وهدم الدار أبشع صور التكل الذي تعانیه المرأة الفلسطينية، إنه التكل المر، فكم وكم أقيم بيت عزاء يردُّه المعزُّون والمواسون في بيتِ هُدم، وانهارت أسقفه وجدرانه واستحالت حياة أهله إلى جحيم محقق، فبكت النساء ببيوتهن المنسوفة كما يبكين فلذات أكبادهن بكاء جيَّاشاً يحرق القلوب، وينم عن عظم الكارثة التي ابتليت بها المرأة من العدو.

ورغم آلاف المنازل التي نسفتها إسرائيل ظلماً وعدواناً طوال سني احتلالها لفلسطين، إلا أنَّ حربها على غزة (الفرقان) كانت أشرس هجمة يتصورها العقل. وأيُّ صورة أبلغ مما صوره الشاعر عبد الفتاح أبو زائدة وقد أرخ ذلك اليوم المشؤوم؛ ليبقى في ذاكرة التاريخ شاهداً على إرهاب إسرائيل، فالمنازل الشامخة غدت كثيباً مهيباً كأنها ساجدة لله ولم تغب عنه صورة المرأة العجوز تبتلع الدخان وهي تداري دمعة على خدها حيث يقول: (1)

في اليوم السابع والعشرين

طارت في الجو الغريان

ونعيق البوم يسير على الطرقات

.....

سجدت أبنية لله تحتضن الأرض

هاجمت مدينتي حرائق الغريان

والتف السوادُ رأس الزمان

والقلب يجأُ بالدعاء

صاحت عجوز وهي تبتلعُ الدخان

الشمس تسكن وجهها

تداري دمعة في خدها

إن نسف الدور ممارسة تُشبعُ بها إسرائيل غرائزها؛ لتزعزع استقرار وأمن الأسرة الفلسطينية، بل القضاء عليها نهائياً قاصدة من طرف خفي المرأة نواة هذه الدار، فلو بغيتها الرجال لقتلتهم وسجنتهم.

(1) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، ص75.

إنَّ الشاعر عطا سليمان رمّوني وضح لنا أن إرادة الشعوب تقف سداً منيعاً في وجه المحتل، لتبني ألف بيت بدل البيت المدمر، وأن الاحتلال لا محالة زائل بعون الله. في قصيدة (كيان تعود هدم البيوت) يقول: (1)

كيانٌ تعود هدم البيوت
فما سلم الطين منهم شروراً
فمهما تجبرت لن تثن عزمًا
ونحن سننبي ألفاً بديلةً
وما الأرض باتت تفادي غليظة
لشعبٍ أراد الجهاد سبيلاً

فمهما هدمت ومهما نسفت
بعون الذي مدّ عوناً لعبدٍ
كيانٌ تيقّنت أنني مزيلةً
دعا الله نصراً فأعطى سئيلةً

لقد أحدثت إسرائيل تدميراً واسع النطاق خلال عدوانها على غزة طال المباني السكنية والمؤسسات المختلفة، " بلغ عدد الوحدات السكنية المتضررة خمسين ألف وستمئة وثلاث وخمسين وحدة سكنية" (2).

وظلت المرأة الفلسطينية زيتونة صامدة لا تنتهيها الضربات المتتالية من الاحتلال فهي تؤمن بأن الضربة التي لا تميتني تزيدني قوة؛ لذا فهي تتولى " الربط بين الأبناء و الوطن والبندقية، فهي الجسر الذي يربط بينهم، وعلى عاتقها تقع مسؤولية زرع بذور المقاومة والكفاح في وجدان ابنها، هذه البذور ستتمو في مرحلة لاحقة؛ لتتحول إلى فعل سياسي عسكري منظم وواع" (3).

فلا تراجع ولا استسلام في التصدي للعدوان، فالشاعر خالد البيطار في قصيدته (يا أهل غزة) يبين الحقد الدفين الذي يهدم الإسرائيليون بسببه البيوت والمشافي والمداس لكن الرجال يسدون سلاحهم وكذا النساء كأنهن رجال في التصدي للعدو، يقول: (4)

فمضى لهدم بيوتهم كي يذعنوا
أعلى البيوت وأهلها ودروبها
وعلى والمشافي والمدارس هل لها
الطائرات تحوم تقذف باللظى
خسئ العدو المجرم الختال
وعلى المساجد كيده ينهال؟؟
سيفٌ يقاتل أو يدّ تغتال؟؟
يا ويحهم ماذا جنى الأطفال؟؟

(1) موقع www.palissu. Com عطا سليمان رموني، كيان تعود هدم البيوت.

(2) التوثيق الإحصائي لجرائم الحرب الإسرائيلية خلال عدوانها على غزة، 2008 م - 2009 م، ص 26.

(3) حسان رشاد الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، 1998م، ص 97.

(4) ديوان لأجلك غزة، ص 146، 147.

لكنه الحقْدُ الدفِينُ وقد بدا حتى لمن عشقوا السلام وغالوا

فإذا الرجال يسدون سلاحهم وإذا النساء كأنهن رجالٌ

فالمراة الفلسطينية لا بد لها من الصبر على بيتها الذي غدا كسفا؛ فتفتت كبدها حزنا على أنقاضه هذا ما صوره الشاعر محمد عبد المطلب جاد في قصيدته (صباح الصبر يا غزة) يقول فيها: (1)

على آلاف شهدانا وصرخة أم
فلا خطرٌ كما أملاه (سام) العم
صباح الصبر يا بيتا غدا كسفا
وفي أنقاضه كبدي وما كشف
وما كفى الذي أبدى وما وصف

إنها الصورة البشعة للحرب والدمار، حيث المساجد متهدمة والقصف لا يُبقي ولا يذر والعدو لا يرحم نسوة ولا كهولا، بالإضافة إلى الجوع والقهر والحصار، نجد ذلك جليا في قصيدة (نداء غزة للعرب والمسلمين) يقول فيها: (2)

أفما رأيتم مسجداً متهدماً أفما سمعتم صارخا مذهبولا

هلا علمتم أرض غزة ما بها القصف لم يترك بها من موقع كيف البيوت بأهلها قد دمرت قهرٌ وجوعٌ والحصارُ ملازمٌ

إن الجرائم التي ارتكبتها الصهاينة في غزة تحصد الأطفال، وتحرق أمهاتهم، وتهدم بيوتهم فوق رؤوسهم شططا؛ فنتساقط النساء شهيدات هذا ما أشار إليه سعد عطية الغامدي في قصيدة (مجازر غزة وحصارها): (3)

جرائم تحصد الأطفال

(1) ديوان لأجلك غزة، ص 472 .

(2) السابق، ص 41، ص 42.

(3) السابق، ص 217.

في غزة

وتحرق أمهاتهم

ويهدم فوقهم

شططاً

منازلهم.. فيزهق روح (رادينا)

وتصحابها (هنا)

لقد حولت الحرب حياة الناس في غزة إلى ألم لا ينتهي، وجحيم محقق، فالمشهد ذات
المشهد بيوت تهدم وأهلها نيام، والمرأة هي من يدفع الثمن، فالأمهات دموعها لا تنجلي، وأكفهن
على الخدود تلتطم. إنها صورة حية النقطة عصري مفارحة في قصيدة (مأساة غزة):⁽¹⁾

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ألم على ألم على ألم وهل | يرضى بذل العيش من يتألم |
| أماه لا تبكي عليّ إذا لقي | ت منيتي إن المنية أرحم |
| إن كان هذا العيش ذلّ كله | فالموت نغم الموت إن هو أسلم |
| | |
| هدموا المنازل فوقنا فتبعثرت | وضح النهار ونحن فيها نُؤم |
| | |
| والأمهات دموعها لا تنجلي | وأكفهن على الخدود تلتطم |
| هذي حياة الشعب صعب وصفا | وإذا صدقت الوصف فهي جهنم |

وقد استصرخت النساء وهن يبكين على أطلال بيوتهن المنسوفة، ودوت صرخاتهن في
أرجاء المعمورة، وكم امرأة استتجدت بالرؤساء العرب، "ربما لم تسمع هذه المرأة بالمعتصم أو
عمورية، ولم تقرأ عنهما، بل هي ربما لا تقرأ ولا تكتب ولكنها تعلم بالفطرة قبل الوعي أنها عربية،
وأن ذلك يرتب لها حقوقاً على أهلها العرب".⁽²⁾

(1) ديوان لأجلك غزة ، ص 351.

(2) عبد الله حوراني، لماذا نكتب ولمن ؟ (رؤية للوضع الفلسطيني)، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق،

ط/1: 2010 م، ص 247.

انظر إلى البيوت الشامخة كيف استحالت إلى حجارة، ولا تسخر من الحجر إنه رمز
لمقاومة شعب أعزل عشق الجهاد؛ فاتخذ من الحجر سلاحاً يقذف به وجوه المعتدين وهو تلکم
الحبلى بآلاف الضحايا والعبر يقول الشاعر: (1)

لا تقلُ إنِّي حجرٌ

أنا ذلك البيت الذي هدموه

ليدفنوني تحته

فاحتضنتُ البيت

وبنيت البيت في جرحي وطن

هذي هديتكم إليّ

صارت سلاحاً في يديّ

.....

لا تقلُ إنِّي حجرٌ

أنا تلکم الحبلى

بآلاف الضحايا والعبر

لقد بكت المرأة الفلسطينية دماً لا دموعاً، وتمزق كبدها إرباً؛ حزناً على بيتها، فأخذت تُقبّل
حجارتها، وتطوف حول أنقاضه كما الحاج في كعبته.

إنها تدفع حياتها ثمن الصمود في بيتها فقد نسفوه بكل قصد فتناثرت أشلاء الصغار والشيوخ
والنساء بلا عدد، يقول الشاعر محمد عبد اللطيف المطلب جاد: (2)

نسـفـوا المسـاجـدَ والمقـابـلَ بـرَ والبيـوتَ بـكـلِّ قـصـدٍ

أشـلـاؤنا تحـت التـراب وكم بهـا طفـل رـقـدٍ

.....

ومـن الصـغـار إلـى الشـيوخ إلـى النسـاء بـلا عـددٍ

(1) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، قصيدة صرخة الحجر، ص 103.

(2) لأجلك غزة، قصيدة يا رب غزة، ص 474، 475.

يطالب الشاعر الأم الفلسطينية ألا تحزن بما فعل الجبان من هدم البيوت متوعداً ببناء آلاف البيوت في فضاء العز والمجد، فمهما ذبحوا من النساء وحرقوا من الأطفال هناك إصرار على البقاء حيث يولد الأطفال أبطالا يتحدون العدو، يقول عبد الفتاح أبو زيدة: (1)

لا تحزني يا أم ما فعل الجبان

إن يهدموا بيوتي

فلسوف نبني في فضاء العز آلاف البيوت

إن يقتلوا شيخاً

أو يحرقوا طفلاً

أو يذبحوا امرأة

كل النجوم ستنجب الأطفال أبطالاً

ها هي الأمهات على طرقات النفير، تلوح لأبنائهن، فيتحدث البيت مباحياً بما كان فيه من أسوار وقلاع، وزهر الفل لكن يد الجنود كالظلام جعلت السماء معلقة من ظفائرها تتدلى في السقف؛ دليل الدمار الذي حلّ جراء الحرب هذا ما صوره إبراهيم نصر الله بقوله: (2)

وتلويحة الأمهات لأبنائهن على طرقات النفير

وكلّ المقابر كلّ الأكاليل

قال لي البيت

سوري عالي وكلّ جدار هنا قلعة

والنوافذ تحرس سرّ المكان

وتحرس ضوء الهلال الطري على زهرة الفلّ

وظلّ الجنود كظلّ الرياح: بقايا الرمال

فتم جيداً - قال لي البيت

(1) دموع بلا عيون، قصيدة غزة عرس فلسطين، ص 122.

(2) لأجلك غزة، قصيدة زيتونة تشتهي أن تعيش، ص 28، 29، 30، 31.

لا ترتعد إن رأيتَ سماءَ معلقةً من ضفائرها

تتدلى من السقف

- تجريف الأرض:

من أوسع أنواع التنكيل بالفلستينيين تجريف أراضيهم الزراعية؛ لتسهيل مهمة الاستيلاء على الأرض بعد تصحيحها بطرق شتى.

"فقد أصدر الحاكم العسكري الإسرائيلي للقطاع العديد من الأوامر التي كان من أهمها الأمر الذي يلزم كل من يقوم بغرس أشتال أن يقدم تفاصيل عنها، كمساحة الأغراس بالدونمات وأنواعها وعددها وتاريخ غرسها"⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى ما قام به المستوطنون من تخريب وحرق لمزارع الفلستينيين، وأساليب الغدر والخيانة، كإعطاء المزارعين الفلستينيين بذوراً فاسدة، مستغلين إغلاق الأسواق أمامهم في الدول المجاورة، والأدوية الزراعية المنتهية صلاحيتها؛ لتدمير البنية الزراعية، وقد سارعت منظمات ومراكز حقوق الإنسان بالاحتجاج على طرد المزارعين الفلستينيين من أراضيهم ومنعهم جني محاصيلهم الزراعية.

" ويوفر القطاع الزراعي وظائف دائمة ومؤقتة لأكثر من أربعين ألف مواطن في غزة، ويوفر الغذاء والحياة المعيشية لربع سكان القطاع"⁽²⁾.

إن إسرائيل في حربها الرصاص المصبوب على غزة دمرت القطاع الزراعي كباقي القطاعات الأخرى؛ لقطع أسباب الحياة وبث اليأس في نفوس الغزيين، وجعل المرأة في دائرة الاستهداف وزجَّ بها في حرب لا هوادة فيها، لكن المرأة الفلستينية كالمارد الذي يقف في وجه الإعصار، فلم يثنها تجريف أرضها عن تحمل أعباء قضيتها.

تقول ابتسام صايمة:⁽³⁾

والحقل.. كان الحقل يزخر بالسنابل شامخات!!

هل حرقوه وحرقوا الأحياء كي يخفوا الجريمة؟

(1) جهاد شعبان البطش، الاستيطان الصهيوني في قطاع غزة، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، ط/1: 1423 - 2003 م، ص 235.

(2) تقرير معلومات، معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، لبنان، ط/1: 1429 - 2008 م، ص 12.

(3) لأجلك غزة، (قصيدة إلى غزة.. لا تصمتي)، ص 597.

لا تصمتي

قولي ولا تترددي

احكي لهم قصص الدمار

وقد أدرك العدو اعتماد المرأة الفلسطينية على الزيت و الزيتون لإطعام أسرته ونمو صغارها؛ فالممثل الفلسطيني يقول: الزيت عماد البيت؛ فحارب العدو المرأة بتجويع أسرته وضربها في الصميم، فعمد إلى أشجار الزيتون فاجنتها من جذورها، بيد حاقدة، وقلب قاسٍ.

يقول الشاعر عبد المطلب جاد: (1)

صباح الصبر يا زيتونة جفت

تردّت في يمين الحقد واجتثت

ولوّحها لهيب الظلم فانسحقت

على أثمارها كم أسرة طعمت

وكم أعطت وكم نمت وكم ربّت

وللتجويع جازوها بما فعلت

قساة القلب أبشع أمّة خلقت

لقد وقفت المرأة الفلسطينية إلى جانب زوجها تسانده وتشد أزره، وتلازمه في بستانه، وتحمل الفأس والمنجل، هي كما الطيور في البكور، فإذا انبلج الفجر حملت معولها، وباشرت الفلاحة في أرضها، فهي تحنو عليها كما تحنو على أطفالها، وهي أكثر التصاقا بشجرة الزيتون؛ لما لها من دلالات دينية، وأهمية اقتصادية، وهي تباهي بأشجار زيتونها؛ لذا فإن الإسرائيليين يناصرون تلك الأشجار العداء، فيسعون إلى اقتلاعها وطمسها من الوجود.

وببادل شجر الزيتون الفلسطينية الغرام فوقف إلى جانبها يقاوم العدو المشترك كما يقاوم الشيخ والأطفال وكذا العذارى يقول الشاعر إبراهيم محمد سويد: (2)

يقاوم في غزة السنديا ن يقاوم زيتونها الأكرم

يقاوم أطفالها الصابرو ن يقاوم وجدانها الملهم

يقاوم شيخ تقاوم أم تقاوم طغيانهم مريم

(1) ديوان لأجلك غزة ، قصيدة (صباح الصبر يا غزة)، ص 473.

(2) السابق، قصيدة (صبرك الانتصار)، ص 17.

المبحث الثاني: استشهاد الابن أو الزوج أو أحد الأقارب

أبناؤنا فلذات أكبادنا تمشي على الأرض، نحترق كما الشموع؛ لنضيء لهم ظلمات الحياة، ونوصلهم إلى شاطئ الأمان، ونتمنى أن يكونوا أحسن حظاً منّا في الحياة، وعندما نفقدهم نفقد الحياة، ويغمرنا الحزن، ويعلو الأسى محياناً، " قيل لأعرابية مات ابنها ما أحسن عزاءك؟

قالت إن فقدي إياه آمانني كل فقد سواه، وإن مصيبتني به هونت عليّ المصائب بعده، ثم أنشأت تقول: (1)

كنت السوادَ لناظري فعمى عليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذرُ
ليت المنازل واليديا ر حفاائر ومقصابرُ
إنني وغيري لا محالة حيث صرت لصائرُ

وأنشد المفضل الضبي لامرأة من العرب ترثي ابناً لها: (2)

ربيتـه دهـرا أفنقـه في اليسر أغذوه وفي العسرِ
فمضى وأي فتى فجعث به جأبت مصيبتـه عن القدرِ
لو قيل تفديـه بذلت له مالي وما جمعـت من وفرِ
أو كنت مقتدرًا على عمري آثرته بالشطر من عمري

استباححت إسرائيل الدم الفلسطيني فأراقته؛ ليخضب تراب فلسطين؛ لذا كان لزاماً على المرأة أن تربي أبناءها على عشق الجهاد فالأمهات مفخرةٌ للعالم كلها، وكم أمٌ فقدت وحيداً على يد العدو الغادر، فقد نسج سليم الزعنون قصة أم فقدت وحيداً في معركة (1948م)، وقد انتشحت بالسواد، حيث يقول: (3)

تكلت فتى لم يعد عشرين حجةً وشهماً على حُبِّ المكارم قد شبا
ترعرع في ظلّي أهدب خلقه فساد الوري خلقاً وجاز العلى وثبا
وأنت فلسطين التي ضاع حُفها و أضحى الثرى القدسي من أرضها سلبا
فهبّ ولم يرضخ لنصحي مردداً سأرجع للأوطان حقاً غدا صعبا

(1) شاعرات عصر الإسلام الأول، ص 118، و طبائع النساء، ص 203.

(2) إبراهيم الحصر القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، ط/4: 1972، ج 1، ص 460.

(3) سليم الزعنون، ديوان يا أمة القدس، المؤسسة العربية للدراسات، ط/1995: 1، ص 195.

أم الشهيد إذا نظرت إلى وجهها أمدتك بالقوة مرسوم على ملامحها الهموم، وأعباء القضية، تمدك بزد من الصبر وتسقيك فجر الحرية الذي هو ضالتك، أمهات الشهداء الأبرار، " نساء شامخات أعمارهن تبدأ من الأربعين فما فوق، ليست لهن علاقة بالنتظير والأدلجة، إلا أنهن ينطقن بالسهل الممتنع، لسن ساحرات ولا شاعرات إلا أن كلامهن يدق حتى تخاله سحرا، تحملن الحياة بكامل قساوتها وجمور ثابتها الاجتماعي ورغم العيش في ظروف بين سهلة إلا أنهن لا يتأخرن عن تلبية الواجب الوطني".⁽¹⁾

الاجتياحات متواصلة، والشعب المرابط يودع قوافل الشهداء، والنكالي كثر. وفي ليلة ظلماء بدأت أرتال الدبابات بالتوغل صوب قطاع غزة في عملية عسكرية سمّتها إسرائيل أيام الندم⁽²⁾، بينما أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية أيام الغضب، قدّم فيها الشعب الفلسطيني ما يزيد عن مائة وعشرين شهيداً، ومئات الجرحى⁽³⁾.

أما حرب الفرقان فقد رأينا صوراً جديدة للنكالي، إنه الموت الجماعي لعائلات بأكملها، كما حدث مع عائلة السموني إذ استشهد منها ثمانية وأربعين شخصاً في يوم واحد.

ويعدد لنا زهير هدلة النكالي وهُنَّ، أم الشهيد وأخت الشهيد وابنته الشهيد، ويطالبنا بإعداد عرس يليق بهن: ⁽⁴⁾

أعدوا

لغزة عرساً يليقُ بأُمَّ الشهيد

وأخت الشهيد وبنت الشهيد

لتأتِ الزعاماتُ والغاياتُ

.....

أعدوا

لغزة موكب عرس يليق

يليق بكلّ الذين استماتوا فداءً

(1) أكرم أبو سمرة، المرأة الفلسطينية، درس في الانتفاضة، ص 22.

(2) بدأت العملية يوم الثلاثاء الموافق 2004/9/29 الساعة 9 ليلاً واستمرت 17 يوماً.

(3) ينظر: مصطفى حسني الصواف وآخرون، شهداء أيام الغضب، إصدار مكتبة الجيل، بالتعاون مع موقع صابرون، غزة، 2004م، ص4. بتصرف.

(4) لأجلك غزة، قصيدة أعدوا لغزة عرساً، ص 195.

لضحكتها الساحرة

وأما الأم الثكلى سميرة بعلوشة ومصابها الجلل فقد "ارتقت خمس شقيقات من عائلة بعلوشة إلى العلا إثر قصف صهيوني"⁽¹⁾.

ها هي طفلة شهيدة تناجي أمها وتطالبها بالصبر وعدم الجزع وتبوح لها بالشوق والحنين لأن تلف ضفائرها وتضمها إلى صدرها يقول الشاعر:⁽²⁾

يا أم لا تبكي ولا تتعجبي
لما بدا من غزة لا ينحني
قتل الطغاة فؤادي الحرّ الأبى
غرسوا سُيوفَ الغدرِ والإرهابِ بي
.....
يا أم كم أشتاقُ لفَّ ضفائري
يا أم أن لي الرحيلُ تجلدي
بيديك ضمّيني إليكِ وقربي
لا تياسي أو تجزعي أو تشجبي

وتلك استشهد لها ثلاثة أولاد وزوجها وابنتها الوحيدة، إنها صباح أبو حليلة حيث قصف منزلهم بقذائف الفسفور الأبيض مما أدى إلى احتراق الجثث وتفحمها⁽³⁾.

وقد صور الشاعر هذه المناظر، عن دموع الثكالى التي تتهمر على الخدين تحفر أخاديد، وعن الأشلاء المتناثرة، إذ يقول:⁽⁴⁾

في زمن الفسفور
هل تمسح دمعها؟!
عيناها نهرا دمع ودماء
وعلى الخدين أخاديد
حفرتها جوهرتان انطفأت خضرتها
في حمم الليل

(1) الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 49. الشهداء هن تحرير (18) عام و إكرام (15) عام و سمر (13) عام و دنيا (8) أعوام و جواهر (4) أعوام.

(2) لأجلك غزة، محمد أبو الفتوح غنيم، قصيدة رسالة من طفلة شهيدة، ص 400.

(3) الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 99. بتصرف

(4) لأجلك غزة، خضر أبو ججوح، قصيدة نقوش على قذيفة فسفورية، ص 170.

ومحمدُ أشلاءً فوق يديها

وأبوه بقايا أشلاء

وهذه تكلى فقدت زوجها وأولادها الثلاثة، فقد أعدت طعام الفطور لعائلتها وخرج أبناؤها لقطع الأخشاب خارج المنزل؛ لتخبز لهم وودعها زوجها وذهب إلى العمل، فجأة سمعت صوت صاروخ نزع قلبها، وهرعت إلى الخارج فإذا بالناس يجرون نحوها، وقد تحوّل أولادها أشلاء، فأخذت تصرخ أولادي، فالتفتت إلى الجهة الأخرى من المكان فإذا بها تفاجأ بأشلاء زوجها متناثرة في أرجاء المكان الذي أحاله الصاروخ الحاقد إلى برك دماء⁽¹⁾.

فالشهيد الذي خضبت دماؤه ثرى الوطن الغالي، يوصي أمه بالألّا تبكي، بل تزغرد فهو حي فحياته ومماته ونسكه وصلاته لنيل الشهادة فداء لتراب فلسطين، يقول الشاعر:⁽²⁾

أماه قد يهدى إليك رفاتنا

غنيّ له..

.....

أماه لا تبكي عليّ

بل زغردى

فالأرضُ تسقي نسغها من مقلتيّ

.....

أماه قولها لهم

(لما هويتُ على تراها زغرد

الزيتون و انفجرت تراتيل السحاب).

هذا وجودي والصلاة

هذا التراب له الحياة...!!

نسكي له.. وله الممات

(1) الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 98. بتصرف. الزوج هو: عبد المحسن بريخ (44) عاما

والأولاد هم مهدي (21) عاما ومحمد (19) عاما ويوسف (14) عاما.

(2) لأجلك غزة، هزار طباح، قصيدة رسالة من غزة، ص 637.

يشعر الشاعر بالحزن على امرأة من غزوة تلملم ما تتناثر من تفاصيل ابنها المنشول من تحت الرُّكام حيث يقول: (1)

عينٌ على غزّة
وعينٌ أبرقت
حزناً على امرأة
تلملم ما تتناثر
من تفاصيل ابنها
المنشول من بحر الركام

إنها الجثث التي تتناثر في كل الأرجاء، صور مأساوية، جرحى بلا أيدٍ والأم تضم صغارها القتلى هنا والأب لا يفقد الأمل فهو يبحث عن أبنائه لعلّ بعضهم على قيد الحياة، فذُهل؛ لأنّ جميعهم فقدوا الحياة، يقول الشاعر: (2)

جثثٌ مفحمةٌ هنا
جثثٌ مقطعةٌ هناك ،،
جرحى بلا أيدٍ هنا
جرحى مشوهةٌ هناك ،،
أم تضم صغارها القتلى هنا
وأبٌ يفتش في ركام البيت
عن أبنائه فلعلّ بعضهم
على قيد الحياة فهاله
أنّ الجميع بلا حراك ،،

أما الطفلة الثكلى، المتبقية من العائلة كلها، التي أدمت القلوب وأججت المشاعر إنها الطفلة دلال عامر أبو عيشة، شاعت الأقدار ألا تكون في منزلها حين استهدفته الصواريخ الإسرائيلية، فساوته بالأرض على رؤوس ساكنيه(3).

(1) لأجلك غزه، جهاد الأحمدية، قصيدة غزة في القلب، ص 113.

(2) السابق، حسن التميمي، قصيدة غزة الكرامة والعزة، ص 136.

(3) ينظر: الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص 108 بتصرف. الشهداء هم والدها عامر أبو عيشة (40) عاما و والدتها نهيل أبو عيشة (32) عاما و أخويها سيد (12) عاما ومحمد (10) اعوام و أختها غيداء (8) أعوام.

وبقيت دلال وحيدة مع جدتها والدة أمها، وشاهد العالم دلال باكية مكلومة على أطلال منزلها الذي غدا مقبرة جماعية لعائلتها، وأحبتها فتمنت الموت معهم. يقول الشاعر في دلال: (1)

ولقد رأيتك يا دلال على الملا
ولقد سمعتك يا دلال فضيحةً
وملابس الدار الكبيرة مُزقت
سكنت بأنقاض الحوائج وحدها
والهرة الصفراء تفرح عندما
ماذا جرى في غزة لأحبة
بين الحطام بدمعك الهطال
تروين نكرى واقعٍ وخيال
بين الركام على امتداد ليالٍ
بصمودها في ساعة الزلزال
تقفز إليك وتبيري بسؤالٍ
قتلوا بغير جريرةٍ وقتالٍ؟!

وأمثال دلال من الثكالى يتكرر في المشهد الفلسطيني الذي ينهشه العدو بمخالبه الفتاكة، فنرى ونسمع قصصاً حقيقية أبطالها حقيقيون فلا يحتاج الأدباء ولا الشعراء لإعمال الفكر والغوص في الخيال للتأليف والإبداع.

وقد جادت قرائح الشعراء بقصائد انسابت كالسيل الجارف من هول الأسى الذي عايشوه لحظة بلحظة. فهذا هزار طباخ يعبر لنا عن تلك الأحداث الدامية معزراً دور الأم فهو يخاطبها (أماه) ويواسي الأم الثكلى بفقد طفلتها، الأم المصعوقة لدم الغزال، بقوله: (2)

أمّاه أرسل في البريد رسالتي

بحروفها.. ونقاطها

سترين غزة دمعاً

بغمامة الإعصار تغمس سرها

.....

وينوء قبر للخليل

وبقره أطلال جثة طفلة ،

في الأرض تغرس نسغها

الأرض تحمل بوحها صوب المدى ،

لتحوك من جثمانها

(1) لأجلك غزة، صبري أحمد الصبري، قصيدة: طيبي دلال، ص 257.

(2) السابق، هزار طباخ، قصيدة: رسالة من غزة، ص 631 و ص 633.

أزهار نارٍ كالمحال !

يا أمّها..

يا دمعَةً مسحوقَةً بلظى العروق

مصعوقَةً لدم الغزال

تنعى بقايا طفلة

ما أوركنت في غصنها قصص الرّحيق...!!

أماه هل تبكي سمائي

أم أنها بعض احتراقات الشتاء...!!

ليس لدينا ما نقدمه للتكلى سوى أن نواسيها، ونشد على أيديها ونقدم تهانينا لمن صبروا
على الشدائد وما وهنوا على الرغم من هول الأحداث وفداحتها، يقول الشاعر نجم رضوان: ⁽¹⁾

والتكلى نواسيها

نشدُّ على أيديها

وسُحِقاً للألى خانوا

.....

ومرعى للألى صمدوا

وما لانوا

برغم فداحة الأهوال

ما لانوا

برغم غزارة النيران

⁽¹⁾ ديوان الفرقان، قصيدة: تذكر أننا الأقوى، ص 395.

المبحث الثالث: صور أخرى للمرأة الثكلى

إن العذابات والهموم التي لازمت المرأة؛ جعلتها في صراع دائم في هذه الحياة، فليست الثكلى من فقدت بنيتها فقط، إنما تعددت صور الثكل، وبرز بأوجه متغايرة. وأيُّ ثكلٍ يداني ثكل أمنا هاجر عليها السلام، لم تفقد ولداً ولا زوجاً إنما فقدت وطناً وأهلاً فوجدت نفسها في وادٍ غير ذي زرع؛ "فارتاعت هاجر من وحشة البرية، وتضرعت إلى إبراهيم ألا يدعها وولدها في ذاك القفر المرهوب، لكنه أشاح بوجهه عنها، لا يلتفت ولا يجيب كأنما كان يخشى أن تخونه عاطفته أمام الأم الوالهة الحيرى، أو تثور أبوته رحمه بابنه الوحيد الذي نبذه وأمه بالعرء".⁽¹⁾

وقد دعا إبراهيم عليه السلام لزوج الصابرة أن يؤنس الله وحدتها، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾⁽²⁾.

وأىُّ ثكلٍ يعدلُ ثكل أفضل نساء الجنة، آسيا بنت مزاحم، كانت تحت طاغية ادعى أنه إله يعبد ولم تنجب للطاغية طفلاً، وعندما بعث موسى، ودخل نور الإيمان قلبها، "وعز على فرعون أن تخرج زوجته على عقيدته، وأن تؤمن ببعده؛ فأنزل بها أشد ألوان العذاب؛ رجاء أن يرجعها إلى ما هو عليه، لكنها بقيت على العهد و استعذبت الآلام، وطلبت من الله تعالى أن يبعتها عن هذا الجو الموبوء من قصر فرعون الفاسد إلى قصر عنده في الجنة"⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فَرَعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَجِّنِي مِنْ فَرَعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾⁽⁴⁾.

وما دام الاحتلال قائماً، وشبح الثكل يلزم الفلسطينية ويلاحقها، فقد هُجرت قسراً من بيتها، وتركت قريتها وجنتها الوارفة، وهامت على وجهها تحمل مفتاح دارها، وقد جسدت الأدبية الفلسطينية سامية فارس الخليلي في قصتها المفتاح ذلك المشهد، حيث الجدة لم تفرط يوماً بمفتاحها و ورثته لأحفادها بعد موتها.

(1) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، تراجم سيدات بيت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط/1: 1387هـ - 1967م، ص 43.

(2) سورة إبراهيم، آية (37).

(3) رضوان دعبول، تراجم أعلام النساء، إعداد إدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/1: 1419 هـ - 1998 م، ص 7.

(4) سورة التحريم، آية 11.

"هكذا بدأت نكبة فلسطين، من الشهيد الأول والأرملة الأولى، واليتيم الأول، واللجوء الأول، والخيمة الأولى، والسجين الأول، ثم تواصلت نكبة فلسطين تتعاضم بحجمها ككرة الثلج التي كلما تدرجت فتعاضمت بحجمها" (1).

ومن صور الثكل الذي تعانيه المرأة الفلسطينية، وتعيشه مزاراً عندما ترى زوجها أو ابنها أو أباها أسيراً خلف القضبان، بعد أن كان ينعم بالحرية ويصبو إلى تحرير الأوطان، فإذا به مكبلاً كالطير المذبوح يعاني ظلمة السجن، وقهر السجان، حاضره بؤس ومستقبله ليس له معالم؛ فذرفت الفلسطينية دموع القهر والحرمان حتى حفرت على وجنتيها أخاديد سوداء، كأيام الأسير. فالأسير بلال أبو دقه كتب قصيدة (إلى أمي خلف القضبان) يقول فيها: (2)

أماه ما نظمَ القريضُ لساني بل فاضت الأوزان من وجداني
جسدي أسير في سجون عدونا لله يشكو قسوة السجان
وهذا الشاعر يصف الظلم والقهر الذي تعانيه أم الأسير فيقول: (3)

باسم آلاف الأسرى

وحكاية أم قد سجنوا ابنها تركت بين أنياب

الظلم والقهر تشكي أحزانها تترى

وابنة الأسير تكلى تنن من سنين عجاف دون رؤية أبيها، وقلبها المسكين قد غابت عنه البسمة، تقول سماح المزين على لسان ابنة الأسير:

سبعٌ مررنَ يا أبي سوداً بلا رؤياك

سبعٌ عجافٌ يا أبي لقائنا الشباك

تقضي وحيداً يا أبي وصابراً هناك

أقضي أنا ليلي هنا أتوه في ذكراك

تكلى الإجهاض، صورة من صور الثكل الذي عانت منه المرأة الفلسطينية بسبب الاحتلال، "وأشارت الحوادث إلى أن استخدامات الغاز المكثفة تؤثر بشكل سلبي سريع على وضع الأجنة في

(1) إبراهيم أبو جابر وآخرون، جرح النكبة، مركز الإعلام العربي، الحيزة، مصر، ط/1: 2007 م، ص 9.

(2) مجلة اشراقات فلسطينية، ص 44.

(3) زهير أبو قطام، الثلاثينية الحمراء، نشر بدعم من أمانة عمان، بمطابع الخبرة، عمان، الأردن، 2004م، ص 110.

بطون الأمهات الحوامل، وتسبب لها الوفاة... وبالتالي فقد تعرض عدد كبير من الفلسطينيين للقتل قبل أن يخرجوا إلى الحياة". (1)

العدو الذي قتل النساء ويَتَمُّ الأطفال في غزة خلال حرب (الفرقان) وترك نساءها تكالي تستجير بريها، فلا طعام موفر ولا دواء والحصار مطبق، والأبواب أقفالها مؤصدة، يقول الشاعر: (2)

ونساء غزة تستجير بريها وعلى التخوم مروغٌ ختَّالُ
قطع الطريق فلا الطعام ميسر والبواب سد واتجَّتْ أقفالُ
من أين يأتيك الدواء وجلهم تركوكِ نازفةً ولا أفعالُ
أعداؤك اتحدوا عليك وألبَّوا ذبح النساء ويَتَمُّ الأطفالُ

وأكثر الصور إيلاماً التكلى التي تحمل الأشلاء نازفةً، وتفترش الرمال وتتخى الرجال، ولكنها لا تجد خلف المعابر من ينجدها فتتوقف عن إذلال نفسها بسؤالهم، يقول الشاعر: (3)

هذا الدخان يريبي

فصباح غزة موحش

.....

وبراعم الأشجار باكيةً

على كتف الجبال

وصراخ تكلى تحمل الأشلاء

نازفةً

وتفترشُ الرمالُ

تنخي الرجال على تخوم

حدودها

ولم تجد خلف المعابر

(1) عدنان عبد الرحمن أبو عامر، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، في قطاع غزة (1987-1993م)، المركز العربي

للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، 1426 هـ-2005م، ص96.

(2) لأجلك غزة، حسان الصاري، قصيدة غزة هاشم لن تركع، ص 134.

(3) السابق، محمد حديفي، (قصيدة: رأيت الصبح في غزة)، ص 444.

من رجال

فتكف عن ذل السؤال

إن الرجال عندما يجبنون، ولا يهبون لنجدة نساء غزة فهم تكالي مكبلون في قيود، أما أمهات الشهداء فهن حرائر، إنهن بركان الفداء الثائر كما وصفهن الشاعر بقوله: (1)

أم الشهيد هيد وأنتم
نحن الثكالي في القيود
أنتم حرائر لا إماء
الباحثون عن الشفاء

أم الشهيد هيد وأنتم
أنتم صمود الحق في
أنتم منارات العلاء
وإنه بركة الله بركة
وجه الضلالة والغباء
أنتم كرامات الإباء

تكلى الأحلام، لقد نزح الناس عن الديار فما تجد فيها دياراً، والعدو الصهيوني استحيا الدور فاتخذ منها مأوى له ونسف ما تبقى منها، فطال البكاء لكثرة الأشلاء والمناظر التي يشيب لها المولود، وأخرجت النساء إلى الشعاب فسلم العدو أحلامهن كما سلب أبناءهن، يقول الشاعر: (2)

آه يا قلب فما يغني البكا
مزقوا أشلاءهم لم يرحموا
طال ليل الظلم والمولود شاب
طفلة تبكي ولا شيخا مصاب

واستابحوا دورنا عاثوا بها
بعثروا أحلامنا في نزقة
فاستحالت أرضنا حمرة
آه يا نوح الثكالي لن يطل
كل دنيانا نعيم زائل

لقد انتزع العدو أحلام العروس؛ إذ فرّ منها عريستها ليلة الزفاف، ذاهباً لملاقاة العدو الصهيوني، يقول الشاعر: (3)

إنني لأشفق أن تنازعنا
عن دار خولة سطوة المدرس

(1) لأجلك غزة، رأفت رجب عبيد، قصيدة (رسالة إلى أم شهيد)، ص 173.

(2) السابق، عبدالله بن صالح الخليوي، قصيدة: غزة الصمود، ص 323، 324.

(3) السابق، سمير العمري، قصيدة: القدس موعدا، ص 229.

ونهونُ لا نبكي على ظللٍ ونخون لا نحيا على حرسٍ
ما نفعُ دمعُ الرّوعِ نسكُبةُ من بعد وقع الفأس في الرأسِ
سلوا الكواكب عن مواقعها في الأفق إن تغتَلَّ بالخنسِ
وسلوا العروس عن ابتسامتها إن فرَّ عنها صاحبُ العرسِ

ثكلى اللجوء - طائرات ودبابات وكاسحات ألغام، وصواريخ، ومنشورات تتناثر في الفضاء محذرة السكان؛ فيهرول الناس في الشوارع لا يدرون أين السبيل؛ فتسترجع المرأة الفلسطينية مشهد النكبة متجسدا أمامها، إذ التشرّد ويؤس المخيم فتشعر بالثقل المرير فتستأسد مستعدة للفداء، يقول الشاعر في هذا المشهد: (1)

ستزأُر لوعةُ الأمِّ المضرّجةِ الأَسيلِ بالدُموعِ

وتعتمُرُ القلوبُ المستعدةُ للفداءِ

غزةُ الثكلى غللاً تُكسِرُ

إذ دماءُ التضحيةِ سالت على

صخرةِ التحريرِ من مُستدمِرِ

قل لي إذا هل لاجئٌ

حاك المنافي موطناً؟

يستبدل الأجداد

والبيت العتيق المشتهى

بالموت في بؤس المخيم

والتباكي في ثياب المجزرة

ثكلى تودع خطيبها - ما حدث في حرب الفرقان مع عذراء أتى خطيبها؛ ليسعد بمرآها، ولم يأبه لشبح الموت الذي يحوم حول الديار.

(1) لأجلك غزة، خالد كساب محاميد، قصيدة: غزة مليون لاجئ، ص153، ص154.

تقول⁽¹⁾: " لم أكن أعلم أنها اللحظات الأخيرة له معي... كانت الطائرات قد بدأت بالقصف... خرج من المنزل فأمسكت بيده، وطلبت منه أن لا يخرج، لكنه لم يستجب لطلبي؛ فاستهدفته الزوارق البحرية، و أُلقت به شهيدا ".⁽²⁾

ابن الأحداث ومعايشها لحظة بلحظة أبدع قصيدة فيها ليلي تلبس ثوب العرس في انتظار عريسها وسام، وعلى خديها الحنون الوسنان، لكن وساماً ما عاد على هيئته الأدمية، فقد حولته يد الغدر أشلاء متطايرة في الفضاء، فإذا برأسه شظية ويداه جناحان، يقول الشاعر:⁽³⁾

لبست ليلي ثوبَ العرسِ

ونما في هُديها النرجسُ والنسرِين

وعلى خديها الحنُونُ الوسنان

ووسام يسابق خطواتِ الغيمِ إليها

وعلى شفثيه الفلُّ الحالم

لما صارت رأسُ وسام شظايا

ويداه جناحين

سألت ليلي سلوى أين وسام ؟

(فأجابتها الوردة:

خبأتُ وساماً برموشي

وتكحلت عليه

فاختطف الصاروخ عيوني)

والدمعة قالت:

أغفى في حقل اللوز مع الحورية

(1) هي: عدالة القرعان، من دير البلح، استشهد خطيبها و(8) أفراد من عائلتها وذلك يوم الجمعة الموافق 2009/1/9 م، الساعة الواحدة فجراً.

(2) الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية، ص147.

(3) لأجلك غزة، خضر أبو ججوح، قصيدة نقوش على قذيفة فسفورية، ص169.

ثكلى الشتات - تزخر الحياة الفلسطينية بأن يخطب الفلسطيني في الداخل فتاة فلسطينية من أقربائه في الشتات؛-وهذا من تبعات النكبة- فتتعرض العائلات إلى سلسلة من المعاناة لا يعلمها إلا الله، من أعباء السفر عبر الدول المجاورة، وعذابات الإسرائيليين من تصاريح وتفتيش وإذلال على المعابر، وانتهاء مدة الزيارة. ويبدو المشهد مظلماً في غزة بسبب الحصار والحرب، فهذه إيمان عروس في الخارج ترتب أثوابها تريد السفر إلى عريستها الغزي وائل القابع في جحر التنين في غزة حيث النار والشظايا والقنابل والفسفور، والحصار، إذ لا سبيل للوصول إلا عبر الأنفاق المظلمة، يقول الشاعر: (1)

كانت إيمان تصلي

وترتب أثواب براءتها كل مساء

وتعدّ سويعات العمر، وتحلم بالفرحة

.....

وأبوها يمضغه الهم وتجرحه اللمهة

يخشى المجهول على زهرة قلبه !

أتسافرُ في جحر التنين بجوف الأرض؟

وأنا أخشى النسمة أن تلعفها

من عشرين ربيعاً

وسأنقلها بيديّ!

فحبيب القلب وأهله

في غزة يرتشفون كؤوس الحزن صباح مساء

وجماجمهم تتبخر في لهب الفسفور

وصباحاً سافر يحمل بيديه براءتها

وثياب العرس وأشواقاً ودموعاً

وانزلقا في بطن الحوت مع الشفق

وتلعثم إيقاع العمر بقاع النفق

(1) لأجلك غزة، خضر أبو ججوح عرس على جمر الفسفور، ص160.

وبصيص الأمل تفلن بالرهبة يتراقص في العتمة

وتسلل في هديها شلال دموع

وأبوها يمسك بيديها ويقبلها ويودعها

هؤلاء الثكالي أنخننهن الجراح؛ فقد ارتكبت إسرائيل مجازر بحق أهل غزة، وخاصة النساء، " فقد احتجز أشخاص مدنيون من بينهم نساء وأطفال في أوضاع مزرية، حرموا فيها من الطعام والمياه، واستخدام المرافق الصحية وتعرضوا للعوامل الجوية في كانون ثاني يناير، دون وجود أي مأوى"⁽¹⁾.

ورغم ذلك فإن معاناة الثكالي في غزة تتحول إلى براكين تبديد الظالمين، فمن المعاناة التي عاشتها، صنعت جيل النصر، فأصبح الطفل يلعب بالمنايا، كأشبال يحيطون العرين، يقول الشاعر⁽²⁾:

| | |
|--------------------------------|--------------------------|
| ولا تُبِقِ اليهـودَ الغاصـبينا | ألا يا أرض غزة إزأرينا |
| براكيننا تُبِيدُ الظالمينا | وصبّي من معاناة الثكالي |
| صـواربخاً تـدكُّ المعـتدينا | ودودي عن صغيرٍ صاح يبغى |
| دماءً تـرو ريقَ الظامـنينا | ومن ثدي البطولات ارضعيه |
| | |
| كأشبالٍ يحيطون العرينا | فصار الطفل يلعب بالمنايا |

لقد تعددت صور الثكلى في فلسطين، لكن الفلسطينية الأبية تجعل العدو باكياً، نائحاً بصمودها وتمسكها بحقها في الحياة الحرة.

(1) تقرير غولد ستون، ص 13.

<http://www.palpeople.org/atemplate.php?id=1599>

(2) لأجلك غزة، طارق بن عبد الله، قصيدة: زئير غزة، ص 265.

الفصل الثالث

المرأة الرموز

- المبحث الأول: التضحية والفداء
- المبحث الثاني: الأرض
- المبحث الثالث: السّكن

المبحث الأول: التضحية والفداء

إن البطولة والصبر وخوض ساحات الوغي، التي امتطى صهواتها الرجال، لم يغيب مشهد المرأة فيها، فقد رأينا رموزاً في التضحية والفداء لنساء ماجدات خلدن التاريخ، هذه الصابرة الرمز زوج نبي الله أيوب عليه السلام تتجلى فيها التضحية بأصفي وأبهي صورة، فقد مات الولد وحلّ الضعف واستشرى المرض في جسد النبي أيوب عليه السلام فلم تكن هي إلا ملاكاً ساهراً، مشت على الأشواك تستعذب الصعب وتلملم الجراح، حتى كانت رمزاً للتضحية والفداء والصبر إلى أن كشف الله الغم وأبدلهم بحالٍ غير حالهم أمنا واستقراراً، ومن عصر النبوة إلى عصر الخلفاء الراشدين، حيث نرى "ممن كانت لها شأن في سياسة الدم في عهد عثمان بن عفان زوجته نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة، فكانت أحظى نسائه عنده بما امتازت به من الطاعة والوفاء والإخلاص"⁽¹⁾.

لقد ألقت بنفسها في مرمى السيوف تصدّ عن عثمان (رضي الله عنه) ليلة اقتحم القتلة بيته، ثم أهوى رجل إلى عثمان بالسيف فانكبت عليه وأتقت السيف بيدها، فقطع أناملها.. ثم دخل آخر معه سيف فقال: اخرجوا لي فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فأمسكت نائلة السيف فحرّ أصابعها"⁽²⁾.

لقد ضحت بنفسها للذود عن عثمان رضي الله عنه، وواصلت تضحياتها بعد مماته، فأرسلت قميصه المدرجة بالدماء مع شعر ذقنه مع أصابعها المقطوعة إلى معاوية بن أبي سفيان فعلقه معاوية في المسجد.

ومثالاً على التضحية والفداء (جان دارك) الفرنسية التي أحرق جسدها قربانا لتتعم فرنسا بالحرية، وفي عالمنا العربي في الجزائر أرض المليون شهيد تراءى لنا صوت أنثوي أصبح رمزاً للتضحية والفداء إنها جميلة بوحيرد، تحدّت الاستعمار الفرنسي لبلادها، فعذبها الفرنسيون وحكموا عليها بالإعدام، فتحملت النفي والسجن والتعذيب وأوشك حبل المشنقة أن يلتف حول عنقها، وخفف حكم الإعدام بالسجن مدى الحياة بعد أن ضج العالم بأسره لحالها.

قال فيها الشاعر نزار قباني⁽³⁾:

الاسم جميلة بوحيرد

تاريخ تروية بلادي

(1) عمر كحالة، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، ط/1: (1398هـ - 1978م)، ص206.

(2) السابق، ص208.

(3) نزار قباني، الاعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، ط/5: (1993م)، ج/3، ص51.

يحفظه بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد

ما أصغر (جان درك) فرنسا

في جانب (جان درك) بلادي

والمرأة الفلسطينية رمز للتضحية والفداء فهي علم في رأسه نار، إنها صاحبة رسالة مقدسة، وقضية عالمية، كيف لا؟ وهي تناضل ضد المستعمر الوحيد على وجه البسيطة في العصر الحديث، إنه قدرها أن تواجه الصهيونية العالمية؛ لأن العدو وجد فيها بذور الثورة وميلاد الثوار، يقول الشاعر⁽¹⁾:

سيدتي

في الأرض المحتلة

يا امرأة

أكبر من كل نساء الدنيا

تتحدي

إرهاب القتلة

المرأة الفلسطينية وبقوة فولاذية صمدت عبر مسارات متناقضة وذلك؛ لأن "حالات الثورة والنهوض كانت كثيرة وكذلك حالات الإحباط والسقوط كانت أيضاً كثيرة، وفي كل مرة يلمع فيها انتصار سرعان ما تتلوه حالة سقوط تعطله، ولكن بدل أن تتداعى الشخصية (الفلسطينية) وتسقط أمام الإحباط، تعود لتتماسك وتبدأ من جديد"⁽²⁾.

ومن رموز المناضلات الفلسطينيات (سميحة يوسف مصطفى خليل) التي رضعت لبن الوطنية منذ طفولتها، وأخذت تتبلور شيئاً فشيئاً، فكانت تشارك في المظاهرات، وإلقاء الخطب التحريضية وتؤمن بقضية شعبها العادلة وحقوقه المشروعة، فهي تقول: "فإننا شعب حي لا يموت،

(1) هارون هاشم رشيد، ثورة الحجارة، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع، تونس، ط/1: (1988م) ص38.

(2) محمد ابراهيم عسلي، دراسة لمسات الشخصية المميزة لدى طلبة الجامعة (بمحافظة قطاع غزة) وعلاقتها ببعض المتغيرات، (رسالة ماجستير) في التربية والصحة النفسية، إشراف: د. نبيل عبد الفتاح، حافظ ونظمي أبو مصطفى (غزة)، ص41.

ويرفضن أن يموت ولن يموت أبداً فالليل لا بد أن ينجلي والقيد لا بد أن ينكسر، وسنبقى نناضل، ونناضل بشتى الطرق والوسائل"⁽¹⁾.

ومن رموز التضحية الفلسطينية خنساء فلسطين (رحاب محمد حسين كنعان) "فقدت (51) شهيداً في مذبحه تل الزعتر إثر انهيار مبنى مكون من ثمانية طوابق، من بينهم الأب والأم والإخوة الخمسة والأخوات الثلاث وفي عام 1986م، فقدت ابنها ماهر (15) عاماً، واثنين من أبناء خالتها."⁽²⁾

إلا أنها رفضت غبار اليأس والإحباط وحملت على عاتقها شعلة الثورة، يقول أ.د. نبيل أبو علي: "أضحت رحاب كنعان رمزاً للمعاناة الإنسانية في العالم المعاصر، كما أضحت معاناتها إيجابية حينما تفجرت ينابيع الشعر في قلبها مع تفجر أشلاء أهلها وذويها"⁽³⁾.

لقد ناضلت فحملت السلاح، وناضلت فحملت القلم مسطرة أعذب الأشعار التي تفوح من أحرفها رائحة فلسطين بزيوتها و زعترها وبساتينها الغناء ممتزجة بالدماء وتخشّب الديار. تقول الشاعرة (رحاب كنعان):

"من منا ينسى والتاريخ يشهد للمرأة الفلسطينية التي كانت وما زالت وستبقى مدرسة للثوار، ومعلمة للبشرية، فمنذ الأزل ولم تنزل بعطائها، بصمودها تتحدى أنياب الحصار"⁽⁴⁾.

ومن أروع ما جادت به قريحتها ما رسمته لنا عن الشهيدة رمز التضحية والفداء (فدوى حسن) التي تمنى أمها يوماً أن تراها بثوب الزفاف إلا أن صوت الحق نادى فلم يمهلهما لتحقيق أمنية والدتها واختارت طريق الشهادة فتصورت قبل العملية الاستشهادية بثوب الزفاف الأبيض وتركت الصورة مع وصيتها لتهدى إلى أمها لعلها تحقق لها أمنيتها، تقول رحاب كنعان⁽⁵⁾:

بالفدى تقدمت يا فدوى

وكنت رمزاً للعطاء والفداء

(1) شريف كناعنة وعبد اللطيف البرغوثي، مناضلة فلسطين (سميحة خليل) جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الفلسطيني، 1992، ص447.

(2) رحاب كنعان، تل الزعتر (مملكة التتك وجمهورية الثوار)، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، ط/1: (2001م)، ص138.

(3) رحاب كنعان، تلال الفصول الثمانية، مطبعة الرسالة، غزة، ط/1، 2007م، المقدمة.

(4) مقابلة شخصية مع الشاعرة - رحاب كنعان في منزلها الساعة 10 صباح الأربعاء 2012/1/18.

(5) رحاب كنعان، شلال الفصول الثمانية، ص64، قصيدة (عناق الحدود)، عن عملية فدائية في الجنوب اللبناني 1990م، قامت بها الشهيدة فدوى حسن.

هنيئاً لثوب زفافك الذي

تناثر بجسدك أشلاء

أما (هنادي تيسير جرادات)⁽¹⁾ رمز من رموز التضحية والفداء:

اتخذت قراراً حاسماً في الانتقام من القتلة، فكانت عمليتها البطولية في مطعم (مكسيم) الإسرائيلي في حيفا فانفجر حزامها الناسف وانفجر معه غضبها المزلزل وانفجر المطعم بأسره مخلفةً (22) قتيلاً صهيونياً وعشرات الجرحى.

"رحلت هنادي" لكن روحها لم ترحل، فلا تزال في أزقة مخيماتنا وعلى أسوار مدننا وقرانا.. رحلت هنادي إلا أن ذكراها ستبقى ماثلة في عقول وقلوب كل الفلسطينيين والعرب والمسلمين كمثال حي ونموذج رائع للالتزام والصدق والتدين الرفيع والشجاعة البالغة⁽²⁾.

يقول الشاعر في قصيدة: (هنادي)⁽³⁾

هنادي تدمر عمق اليهود

بخصر نحيل وقلبٍ ودود

.....

وهبت هبوب العواصف تقلع

حلم الأعداء برغم السدود

وضمت عليها حزاماً عنيداً

توحد فيها ولبي الوعود

إن الصبر تعلم كيف يصبر من المرأة الفلسطينية التي داست على نفسها وهمومها وعاشت لهدف أسمى وأنبيل جعلها تترفع عن الدنيا، " لقد انطلقت تواجه أعداء الخير والبر والمرحمة

(1) تم تصفية أخيها (فادي) وابن عمها وخطيبها (صالح) أمام أفراد العائلة بتاريخ 2003/6/14م.

(2) اسماعيل الأشقر ومؤمن بسيسو، المرأة في دائرة الاستهداف الصهيوني، ص 159/سلسلة (4)، المركز العربي للبحوث والدراسات، ربيع الأول 1425هـ/مايو 2004م، غزة، فلسطين، ص 159.

(3) عبد الهادي القادود، وطن ينزف، منشورات مركز الرحمن الثقافي، مكتبة بلدية النصيرات، ط/1: 2004م/1425هـ، ص 43.

بالحجارة، تَلطُّمُ بالكف المخرز، ولا تبالى أن يسيل دمها على الكف الطاهر والوجه الناصع⁽¹⁾.
ومن السجن الحربي صرفند نعرف من هي الأم الفلسطينية رمز التضحية والفداء، في
قصيدة (لستِ أمي)⁽²⁾:

لستِ أمي أنتِ إن لم تحملني بعدي سـلاحي
لستِ أمي أنتِ إن لم تكملني دربَ كفـاحي
لستِ أمي أنتِ إن لم تصبـحي بعض جـراحي

الأم تحب الأبناء، لكن هناك حبُّ الله وحب الوطن يفوق هذا الحب، "هذه الأم التي ربَّت
أبناءها منذ نعومة أظفارهم على الفداء والثأر من المعتدين، وجعلت المقلاع والسلاح هديتهم في
يوم ميلادهم"⁽³⁾.

وصمدت المرأة الفلسطينية عندما ارتكبت إسرائيل الهولوكوست الحديث في اجتياح لقطاع
غزة، قتل فيه الأبرياء وعمّ الدمار، "انسحب العدو الصهيوني بدباباته مخلفةً محرقةً حقيقية، حرقت
الأخضر واليابس.. مَنْ قال إن إسرائيل ارتكبت محرقة، فقد جانب الصواب، فأمامنا محارق نيرانها
لا تخمد"⁽⁴⁾.

فقد تجلّت صورة المرأة بتضحياتها، فكانت في دجى النقع تطفئ لهيب الحقد الصهيوني
وتوقد شعلة المقاومة.

أما حرب الفرقان التي تميّزت بسرعتها ونوعيتها في العنف، لم يكن سطح الأرض وحده
متزلزلاً، بل ألقت الأرض ما فيها وتخلت؛ ليفزع كل من يعتليها، إلا المرأة الفلسطينية ظلت رمزاً
للتضحية والفداء، لم يعرف الخوف إليها طريقاً، مدّت من حولها بدفء الصمود، مدّت ضفائرها
كي يعبر الرجال، أدمت الأرضُ الملتهبة قدميها، حين مشت بجانب المجاهدين؛ ليصلوا إلى نقاط
الرباط ويُرْجُوا بقذائفهم إلى الأعداء المتربصين على التخوم.

(1) يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: (2003م)،
ص218.

(2) مؤيد عثمان البحص، الخيول تموت واقفة في ميادينها، اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، ديسمبر 1974،
ص11.

(3) نسبية بنت فيصل الحجي، الأمومة في الشعر السوري المعاصر، دار القلم للنشر، دمشق، ط/1:
(1427هـ/2006م)، ص117.

(4) المحرقة الصهيونية، 27 فبراير وحتى 15 مارس 2008، المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية حماس،
محافظة شمال غزة، جماد أول 1429هـ/2008م، ص29.

إنها الأم الفلسطينية التي عشقت التضحية فاتخذتها نهجاً لحياتها، لقد عانت ومع ذلك فهي تدير الدفاع في كَفٍ لطائرها فحار الضوء نجماً في مآقيها يقول الشاعر صقر أبو عيدة في قصيدة (هل تحزن؟):⁽¹⁾

ويا لهفي علي أمّ وقد جفّت دواليها
تُدِيرُ الدِّفَاءَ فِي كَفِّ لَطَائِرِهَا
وقد عدّت لياليها
يحارُّ الضوءُ نجماً في مآقيها
فلو هذي لك الأم
ولم تهجع
فهل تحزن؟

إنّ الشاعر (باسل بزراوي) يعرف أنّ الفلسطينية رمزُ التضحية، فيخاطبها مباركاً هذه التضحية، بالأّ يهتز حتى نعلها من هدير البحر والإعصار الذي أطلقه العدو وأنّ الصهاينة المهاجمين أذلاء أمام نعلها، يقول⁽²⁾:

أيا أختاه لا يهتزُّ نعلك من هدير البحر والإعصار
ألا قلياتٍ جلاذك إن هاجوا
أمام النعل يحتكموا!
فلتأتِ الأعاصير
ألا يا راجمات البؤس في وجهي
ألا يا قاذفات اللوعة المرة
ألا فلنأتِ إني ها هنا راسي
كما ترسو جذور النخل في غزة

(1) صقر أبو عيدة، لمن يبكي (مجموعة شعرية)، دار الضياء للنشر، غزة، فلسطين، ط/1: 2010م، ص84.

(2) لأجلك غزة، قصيدة: (سنعيش رغم الداء والأعداء)، ص91.

وهذا الشاعر (رضا رجب) رَمَزَ للمرأة الفلسطينية المضحية الصابرة بمن تبيع دماً وخبزاً، فجعلت المدن بأسرها تقاتل عن بنيتها حيث يقول⁽¹⁾:

أرى امرأة تبيع دماً وخبزاً وهذا اليوم موعدها الأخير
أرى مدناً تقاتل عن بنيتها وأشجاراً معاجمها صخور
أرى اللغة التي اتضحت تماماً لتعرفاً من يجير ومن يجور

وفي حرب غزة (الفرقان) ظَلَّت النسوة كما الرجال أسود المنايا في التضحية والقتال، الكل يصبو إلى النصر الفتیان و الغيد الملاح فالكل بقوة من الله طاب له الفداء ويقاقل لنيل الشهادة وهذا ما صوره الشاعر (رأفت رجب عبید)⁽²⁾:

هنا نسوة أو رجال هنا أسود المنايا قلوب صحاح
نقاتل كل لله منية بنصر من الله فيه السماح
ويهوى الفتى في الوغى ميتة شهيداً كذا الغيد فينا الملاح
جميعاً من الله في قوة وطاب الفداء بما في المتاح

في الحرب تساوت البنات بالنساء فكن رمزاً للتضحية والصبر على المحن والدمار والألم يقاومن الطغيان والحصار مع الإعلان عن عدم الانحناء والركوع للصهاينة، يقول الشاعر⁽³⁾:

رأوا من الحياة ما يهول!

لم توهن العزيمة

ولم يغب الأمل!

بناتهم مثل النساء في المحن

صبراً على الثكل.. على الدمار والألم

على الطوى ينام.. يصحو على الحصار

يقول للأنام.. نجوع لا نرجم

(1) لأجلك غزة، قصيدة: (أرى)، ص181.

(2) السابق، قصيدة: (أمجاد غزة)، ص171، ص172.

(3) السابق، عبد الجبار أبو دية، قصيدة: (غزة ركام وعزة)، ص283.

لقد احترقت الضحايا وتناثرت الأشلاء ومع ذلك فالأم الفلسطينية صائمة على وجع الحقيقة إنها رمز البقاء والبقاء، إنّ وجهها الكوني هو وجه الحياة، فإنها رمز التضحية، يقول الشاعر⁽¹⁾:

النعشُ يعبر من هنا

والطفل يبزغ من هنا

والأم صائمة على وجع الحقيقة

لا ريح تلوي نخلة وحمّت بمجد

غلامها

الوقت أكرم من يعيش على

رغيف سلامها

يا وجهها الكوني

يا وجه الحياة

ماذا تبقى من شتات الأهل

يا فُلك النجاة؟

نعم، لقد كانت المرأة الفلسطينية رمزاً للتضحية والصبر، كما جداتها الأوائل، كما عائشة وأسماء وهند وفاطمة الزهراء، ولنا فيهن أسوة حسنة لذا فإن المرأة الفلسطينية تجود بالأبطال المجاهدين، فهم براكين ستبديد العدو الآثم وتحرز النصر، يقول الشاعر⁽²⁾:

و عائكةً وأسماءً وهنداً وزهراءً وأم المؤمنين

فهذا الجيل جيل النصر حتماً وهذا البطش بطش الزائلينا

بهذا الجيل يا حسناء جودي فهذا الجمع فخر العالمينا

غداً تأتيك بالأخبار عنهم بأنهم جيوش الفاتحيننا

الحرب دمار شامل، وبكاء وكذا نوح كثير ومع هذه الصورة السوداوية تتجلى التضحية، فالمرأة الفلسطينية المرابطة يخافها العدو فتساقط منه الرصاص عليها، لكنها ستظل رمز الحياة،

(1) لأجلك غزة، فايد إبراهيم، قصيدة: (أبناء غزة قادمون)، ص 381.

(2) السابق، طارق بن عبد الله، (زئير غزة)، ص 266.

يقول الشاعر⁽¹⁾:

بكاءً كثيرٍ ونوحٍ كثيرٍ
وأُمّ تنادي بملء الفم
تهزُّ إليها بجزع الدم
تساقط منه عليها رصاصٌ كثيرٌ
يخافون أُمي
عصافيرُ آذار تشرب من ثدي أُمي
وتشربُ من مقلتيها الخيول
يكركر بين يديها المطرُ
فتندى حقول وتبدا الفصول

ويواصل الشاعر تعظيم هذه المرأة التي برغم موتها ظلَّت مبعث قلق وخوف يهابها فتى
الهمجية (الصهاينة)، حيث يقول⁽²⁾:

كفنٌ .. كفنٌ

أعدوا لأُمي الكفنُ

فمن مزهرية أُمي ومصحف أُمي، وتنور أُمي

يخاف فتى الهمجية

الفلسطينية امرأة شماء رمز للتضحية والفداء، تدوس على الأحزان وتحمل شعلة الغضب
المقدس والفداء، تركل الظلم ولا ترضى الهوان، وإنها غراء تعانقها السماء؛ لأنها الشمس فلا تقبل
الذل، يقول الشاعر⁽³⁾:

المرأةُ الشماءُ في وطني رموز للفضيلة والصفاء

داست على الأحزانُ

تحمل شعلة الغضب المقدس والفداء

(1) لأجلك غزة ، محمد أحمد دركوش، (قصيدة غزة العشق والتلاشي)، ص406.

(2) السابق القصيدة نفسها، ص407.

(3) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، قصيدة (بيت حانون)، ص37.

الشمس في وطني امرأة

تركلم الظلم ولا ترضى الهوان

المرأة الغراء في وطني تعانقها السماء

ويواصل الشاعر تمجيده للمرأة الفلسطينية فلها وسام التضحية والصبر، حتى وإن استشهدت، سنظل هي نشوة الأرض، والبيت المبني من عرق البطولة والفداء، فالموت لم يُخفُ النساء حيث يقول⁽¹⁾:

هذه الأم الشهيدة لم تمت

هي بسمة الأطفال

تنمو في روابيها الرجولة والنضال

هي نشوة الأرض التي ارتحلت إلى زمن قصير

هي بيتنا المبني من عرق البطولة والفداء

هي طائر الفردوس ينعم بالخمائل والعبير

الموت لم يُخفِ الرجال

الموت لم يخف النساء

يؤكد الشاعر حقيقة المرأة رمز التضحية حيث الثمار تبكي على صدرها في حين يجري دمها هطالاً، ليسقي جذعاً بعيد الجذور، يقول⁽²⁾:

سأبكي إليكم ثماراً بكت

على صدر أمّ جرى دمها

ليسقي جذعاً بعيد الجذور

وإذا بالجذور تسام الهوان

فمالت غصونٌ ونامت غصون

وماتت غصون

(1) عبد الفتاح أبو زائدة ، قصيدة (بيت حانون)، ص37.

(2) السابق، قصيدة (بكاء الصمت)، ص67.

سأبكي عليكم شجون الثكالى

وأبكي إلكم عيون اليتامى

وأبكي تضحية أعظم من أن ترى المرأة الفلسطينية المصائب تنهال على رأسها كالمطر ويسومها العدو سوء العذاب، يُقتل أبناءها؛ فلا تزداد إلا قوة. وفي مقابلة مع فلسطينية⁽¹⁾ أجرتها رايا بونامكي⁽²⁾ قالت فيها: "أصبح أقوى بعد كل فاجعة يصيبني بها الدهر، كلما أتألم أكثر كلما يثبت موقفى أعتقد أن الاحتلال يحس بذلك في أعماق روحه. إنهم يخشون روحنا ومعنوياتنا؛ ولهذا السبب يستخدمون الأساليب الوحشية ضدنا، ولكنهم يدركون تماماً عدم جدوى ذلك"⁽³⁾.

هذه هي المرأة الفلسطينية رمز التضحية والفداء في كل زمان وفي كل مكان.

(1) فلسطينية في السادسة والخمسين، نهب الإسرائيليون منزلها واعتقلوا اثنين من أبنائها فأقامت عرساً مع أصدقائها يوم نصف المنزل لتري اليهود صبرها.

(2) رايا لينا بونامكي، عالمة نفس فنلندية، زارت فلسطين في ربيع 1982م، وأجرت دراسة على النساء الفلسطينيات كنموذج للمرأة تحت نير الاحتلال، فرأت بأم عينها الصبر والتضحية لدى الفلسطينيات.

(3) رايا لينا بونامكي، الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي، ترجمة: د. أحمد بكر، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1988م، ص93.

المبحث الثاني: الأرض

الوطن هو الأرض، وهو الحيز المكاني الذي تضمنا أرجاؤه المترامية الأطراف وتستوعبنا جنباته، نيطت قلوبنا به بأمراسٍ متينة؛ "وللأرض عدة مفاهيم، فهي ليست تراباً وسكاناً ومناخاً وأشجاراً، والأرض ليست تاريخاً وليست جغرافياً فقط، الأرض ذات مفهوم رمزي، وذات مفهوم حركي وذات مفهوم اقتصادي وكذلك سياسي"⁽¹⁾.

ولقد عشق الإنسان الأرض وأحبها وكانت له كما العشيقةُ يتيمٌ بحبها، وهي الأم الرؤوم تحنو على أبنائها، وهي الزوجة الصالحة البارة، وهي العروس مجلوة لفارسها الهمام لا تقبل به بديلاً، "ومن الطريف أن الملك المظفر تقي الدين (عمر بن شاهنشاه) ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، والي حماة حثّ عمه صلاح الدين على فتح بيت المقدس، وحبّبه إليه وصوره بعروس مجلوة جاءت تخطب صلاح الدين؛ لأنه خير كفاءٍ لها، فينصحه بالاستجابة إلى طلبها دون تردد فيقول:

جاءتك أرض القدس تخطب ناكحاً يا كفأها ما العذر عن عذرائها
زُفّت إليك عروس خدر تُجتلى ما بين أعبدها وبين إمائها
إيه صلاح الدين خذها عادةً بكمراً ملوك الارض من رقبائها"

وبعد الحرب العالمية الثانية عندما تفتتت الدولة العثمانية وتقسامها الغرب واحتلت بريطانيا أجزاءً من تركيا نفسها، "وكان مصطفى أتاتورك يقود أحد الجيوش التركية في أواسط البلاد التي لم تقع تحت الاحتلال، وذهب ذات ليلة لمشاهدة مسرحية تعرض في أنقرة وتناولت بالرمز موضوع الاحتلال، وكانت بطلة المسرحية التي يحيط بها جمع من الأشرار يودون اغتصابها وترمز إلى تركيا، فتوجهت إلى الجمهور صارخةً أليس بينكم رجلٌ يحميني من الاغتصاب؟ فنهض أتاتورك من مقعده مجيباً بأعلى صوته: أنا ذلك الرجل وغادر المسرح وقاد جيشه؛ ليحرر الأجزاء الغربية من تركيا ويوقع بالجيش البريطاني في اسطنبول أقسى هزيمة"⁽²⁾.

أما فلسطين فتتوق إليها قلوب العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويمتلك حبها النفوس، فطالما عانت عبر التاريخ ويلات المغتصبين، فتغنى بحبها الشعراء، يقول حلمي الزواتي⁽³⁾، مصوراً إياها بالحببية

لقلبك تُشرعُ أبوابُ قلبي

(1) شاعر النابلس، مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 244.

(2) عبد الله حوراني، لماذا نكتب ولمن؟، ص 347.

(3) حلمي الزواتي، ترفض السرج الجياد، مؤسسة السنابل الثقافية، ط/1: 1982م، ص 91.

وأنتِ تجيئين بحراً

تجيئين عشياً

ومع هذه الجراحات التي لم تتوقف إلا أن الشعب المرابط صمد في مواجهة الغاصبين متمسكاً بفلسطين، فهذا الشاعر كمال النجمي في قصيدة (صرخة فلسطين) يقول⁽¹⁾:

لها الله من مهزومةٍ غيلٍ أمنها وحال عذاباً خفضنها ونعيمها
تقاعس عنها حين ضيمت وليها وأسلمها للحادثات حميمها
وبما أن المرأة ترمز لكل شيء جميل في الكون ولا تتم الحياة ولا تستقيم بدونها، فقد جعلت فدوى طوقان فلسطين امرأة؛ لأن سرَّ الخصب واحد، ففي قصيدة (حمزة) تقول⁽²⁾:

هذه الأرض امرأة

في الأخادير وفي الأرحام

سر الخصب واحد

وهذا هو الشاعر يوسف الخطيب يصف الجمال الحسي لمدينة غزة التي هام بحبها واصفاً مفاتن جسد المحبوبة، حيث يقول⁽³⁾:

وثغركِ حبتا كرزٍ

وعطركِ غابتا حبقٍ

وصدركِ جرتا عسلٍ

ويزداد حب الإنسان لوطنه إذا اغتصب من بين يديه أو وقع عليه الظلم، فيكتوي بنارين؛ نار العشق ونار الأسى والحرمان، فيجد نفسه طريح الفراش تمزقه لوعة الفراق فما هو مجنون

(1) عبد القدوس أبو صالح ومحمد رجب البيومي، من شعر الجهاد في العصر الحديث، مؤسسة الرسالة، ط/1: 1405هـ - 1985م، بيروت، لبنان، ص181.

(2) ديوان فدوى طوقان، (الليل والفرسان)، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988م، ص543.

(3) يوسف الخطيب، رأيت الله في غزة، دار فلسطين للثقافة والاعلام والفنون، دمشق، دار الحياة للطباعة والنشر، ط/1: 1988م، ص11.

التراب محمود درويش يرى الأرض امرأة في الميناء، وهي مسافرة بلا أهل ولا زاد في جبال الشوك وهي راعية بلا أغنام، يقول⁽¹⁾:

رأيتك أمس في الميناء

مسافرة بلا أهل.. بلا زاد

رأيتك في جبال الشوك

راعية بلا أغنام

إنها فلسطين الجريحة، "الأرض التي التبست بالحببية، هي البداية والشاعر تابع لها، يستمد من جرحها ثورة، ويولد من أغنيتها نشيده، فهي قوامةً عليه، يمشي وراءها، ويصف أقدارها في انتظار الفجر وتكاثر السنابل... ويعطف أحواله المبرأة من المرتبة على أحوال معشوقةٍ يقاسمها الاغتراب والفقد والوجود الناقص⁽²⁾.

لقد اتخذ الشعراء من المرأة رمزاً لوطنهم وأرضهم، "وهنا تتحول المرأة إلى أداة فنية تتحول إلى رمز ملتحم بالعمل الشعري فنياً كل الالتحام حتى صار من الصعب في بعض الحالات على القارئ أن يتعرف بسهولة على الحببية المقصودة هل هي المرأة حقاً أم الأرض فعلاً"، فهذا (زهير كروم) الذي تناثرت أشلاء أمه أمامه طفلاً حين استشهدت في تل الزعتر، فاختر طريق النضال وحمل السلاح وأدعت قيود الأسر معصميه، امتزجت لديه صورة الأم بالوطن عند الحدود اللبنانية حيث اتجه إلى فلسطين المحتلة، فيقول⁽³⁾:

وأصلُ إليك يا وطني

أتقدّم نحو الأرض أعانقها

وأصل إلى أُمي

أصلُ إلى وطني، أصلُ إليكم

(1) ديوان محمود درويش، أوراق الزيتون، دار العودة، بيروت، لبنان، ط/14: 1996م، ص89. ومصدر آخر صفاء زيتون، عصافير على أغصان القلب، دار الفتى العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/1: 1985م، ص105.

(2) عبد الإله بلقزيز، هكذا تكلم محمود درويش، دراسات في ذكرى رحيله، مركز الدراسات الوحدة، بيروت، لبنان، ط/1، نوفمبر 2009م، ص32.

(3) فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الضجر، ص407.

الأرض امرأة، جاءت تشكو وهي ممزقة الأثواب عارية، وتلطم الوجه قد قصت صفائرها
ودموعها على خديها يقول شوقي فلسطين⁽¹⁾:

جاءت لي الأرض تشكو وهي عاتبة والوجه بادٍ عليه صورة الألم

جاءت ممزقة الأثواب عاريةً قد شقت الثوب من رأس إلى القدم

وحرب الفرقان امتداد لحروب عديدة شنّها الصهاينة على غزة، وذلك؛ لأنّ "غزة في أحقاد
التوراة السوداء هي بيت الفلسطينيين المكين الذي تحطمت خلف أبوابه الغزوة اليهودية الأولى قبل
ثلاثة آلاف سنة"⁽²⁾.

وظلت المرأة الفلسطينية في شعر حرب الفرقان رمزاً للأرض المقدسة التي أثنختها الجراح،
"فالمرأة هذا المخلوق الساحر العجيب هي عالم مجهول مليء بالأسرار والخبايا، لا يخلو من ذكرها
أي شعر في العالم وفي جميع الأزمنة والمراحل"⁽³⁾، فغزة فتاة تلهو في جدائلها، لا تدري بأن أمريكا
وإسرائيل تطرزان لها ثوباً من النار والجمر والحمم، بحريها الهمجية، لكن غزة أقوى من الموت،
فالشاعر يقول⁽⁴⁾:

فما لغزة تلهو في جدائلها أصابع الريح والإرهاب قد هجما
وترتدي النار ثوبا طرزته لها (كوندي ولفني) تصبُّ الجمر والحمما
ومال غزة في ظلّ الجحيم بدت أقوى من الموت والطاغوت قد ندما

ومع اشتعال الحرب ازداد لهيب الحب، فقد ترك حب النساء بأسرهن واكتفى الشاعر يوسف
محمد أبو عواد بحب غزة، فقد عشقها طفلاً وهام بها كبيراً، ففي قصيدة غزة إلى أين يقول⁽⁵⁾:

تركتُ حبَّ النساء واكتفيت بها حبيبتي دُرّة مبروكّة النسبِ
عشقتهَا طفلاً وهممت في كبري جعلتها في العين زينة الهدبِ
جعلت قلبي للتي يشاركني في حبها الكون ما في الأمر من عجبِ

(1) شوقي فلسطين (أبو زهير حسن محمد عبد الرحمن محمد سلامة) الملقب بحسن أفندي، أعده وقدم له: يحيى
جير، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر، 1420هـ/1999م، ص92.

(2) يوسف الخطيب، رأيت الله في غزة، ص9.

(3) نادي ساري الديك، جراحات حيف..، ص82.

(4) لأجلك غزة، هاجم العيازرة، قصيدة أيقونة الانتماء، ص541.

(5) السابق، ص590.

أغار؟ لا لن أغار ذاك يسعدني حبيبتى للورى في السهل والحدب
من كل ناحية يطل عاشقها يروي القصائد للسمار والشهب
إنها تحنو علينا وتحضننا وتمنحنا وشاح الخلود، نقبل كفيها عند الصباح وقبل الهجود، هذه
(مريم العموري) في قصيدتها إلى أن نعود، تقول⁽¹⁾:

نأتيك كي تحضنينا

وكي تمنحينا وشاح الخلود

نُقبلُ كفيكِ عند الصباح وقبل

الهجود

وبرغم الأشلاء المتناثرة والدّمار والهلع إلا أن غزة فتاة دفنت خوفها وتلت آية الصبر إنها
تجمع الأشلاء وتودع الشهداء وهي تغني أنشودة الانتصار، يقول بسام دعيس أبو شرح⁽²⁾:

غزة

قد دفنت خوفها

وتلت

آية الصبر

وامتشقت حلماً

ويقينا

عصياً عصياً

على الانكسار

وراحت تجمع أشلاء أطفالها

وتودّع أرواح أبطالها

وتغني

تغني

تغني

(1) لأجلك غزة، ص 627.

(2) السابق، (أنشودة غزة)، ص 94.

برغم المجازر

أنشودة الانتصار

غزة أمٌ تعرف أبناءها، تصرخ في وجه اليهود وتنتكر لهم فهم غرباء، إنها تميز أبناءها الفلسطينيين البررة حين ينادونها يا أماه، أما الصوت الناشز من اليهود فهو نباح لا ينفعهم، في قصيدة (حديث الأرض والتاريخ) يقول الشاعر⁽¹⁾:

تصرخ من أين أتيتم؟

رحمي لم يعرفكم

.....

إني أعرف أبنائي

رحمي يعرف أبنائي

صدري يعرف أبنائي

وجهي يعرف أبنائي

إني أعرف ذاك الصوت

لأبنائي

أماه.. يا أماه.. يا أماه

أما الصوت الناشز منكم

إناه.. يا إناه.. يا إناه

نباخ ليس ينفعكم

إن اليهود لم يأبهوا بلفظ الأرض لهم ويريدونها رغباً عنها؛ فقتلوا ودمروا فيها هي غزة. فتاةٌ أبيضة من أمٍّ في يدها أزهار الشمس فأُمُّها لا تبكي فهل الابنة تبكي؟ يقول عبد الفتاح أبو زائدة⁽²⁾:

من رحم العزة ولدت غزة

(1) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، ص 70.

(2) السابق، ص 120 (قصيدة: غزة عرس فلسطين).

داست فوق سواد الصمت
يلدُ الفجرُ في عينيك يا غزة
أمكُ يا غزة لا تبكي
فهل أنت تبكين؟
أمك يا غزة في يدها أزهار الشمس
منذ آلاف السنين

غزة ليست فتاة ولدت من رحم العزة فقط بل إنها ذات وجه أغبر القسمات، تأتزر وجه الشمس تخاف أن يراها من خلف الخدور من هو مجرد من الحياء، وثغرها مشرع البسمات، يقول الشاعر⁽¹⁾:

ألأن وجهك أغبرُ القسماتِ
تأتزرين وجهَ الشمس
خوف يراك من خلف الخدورِ
مجرّد
من كل ما حملَ الإباءُ
من الحياء؟
ألأن ثغركِ مشرعِ البسماتِ
تنتظرين
عل يعود بعض من سنائكِ
إلى ملاءات الضياء
ألأن قلبك ما يزال ملءَ هواك
تؤكدين بأنه
وسع الفضاء

إن غزة حسناء ساحرة، تشرق كالوردة، تفوح رائحة عطرها، يداعبها النور، وقد تلاًها وجهها بالنصر وهزمت بعزتها الحشود التي لا تُضاهي في القوة والبطر، في قصيدة (وتشرق غزة

(1) لأجلك غزة، جلال قضيماطي، قصيدة (غزة)، ص 99.

كالوردة)، يقول (عمر طوافي اليوسعادي) (1):

وتشرق غزّة كالوردة فجراً
يداعبها النور ملء الجفون
شدتها الطيور بأعذب لحن
أغزّة أيّ انتصارٍ جليل
هزمت الحشود التي أظهرت
قوي لا تضاهى زهاءً وبطرا

وغزّة حسناء يريد العدو اغتصابها جهراً وأمام بنيتها وهي حزينّة تطرق وتفكر وتريد التخلص من هذا العلق الذي يرميها بسطوته، تقول سماح المزين⁽²⁾ في قصيدة (للجرح في روعي سهيل):

وأراه في جهرٍ، يحدقُ، يفتح العينين، يفغر فاه، إن بسمت بوجه الناس مكتحلة

أ تُرَاكُ ويحك تشتهيها؟

جهراً وقدام بنيتها؟

يا حلوتي

أو تحزينين وتطرقين وتفكرين وتدمعين

أنا لا ألوم الساكنين هناك

ولا أروم العون إن (علج) بسطوته رماك

أنا لست إلا قارئاً وجة المليكة؛ قارئاً كلّ التفاصيل

الحزينة للعراك

وصولة العدو لا ترحم، فقد عاثت أسلحته وضرباته دماراً، فسور محمد أبو نصيرة غزّة بأنها امرأة مكلومة تستنجد وتنادي على أمتها العربية، لكن صرختها لم تجد آذاناً مصغية فقد صور الأمة بتخاذلها بأنها امرأة مصابة بالصمم عن سماع الصراخ لما هي فيه من مجون وطرب فهي تبيح نهديها للراغبين، ففي قصيدة (على قبر معتصم) يقول⁽³⁾:

نادت ونادت ولما تسمع العربُ

قد صمَّ آذانها التطبيل والطربُ

(1) موقع الكتروني عمر طوافي اليوسعادي .amartharrafi ayahoo.fr.

(2) سماح المزين، وطن تدفأ بالقصيد، قصيدة (للجرح في روعي سهيل)، ص110.

(3) محمد أبو نصيرة، في كل سنة، من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2010م، ص109.

يا غزتي أمة الأعراب نائمة

تبيح غزة نهديها لمن رغبوا

ومع هذا الدور العربي الخجول إزاء ما جرى في غزة، إلا أن العالم الحر صرخ صرخة جريئة في وجه الظلم، فغزة أسيرة تنادي أحرار العالم ليكفوا عن معصمها قيد الأسر ويسعفوها بضخ الدم في شرايينها لتدب فيها الحياة وتشرق بالأمل، لقد صور لنا (مأمون فريز جرار) ذلك، بقوله⁽¹⁾:

أحرار الأرض تنادوا في كل

البلدان

ليكفوا عن معصمك القيد

ويصدوا عاصفة العدوان

ويضخوا في الشريان دماً

ليعود لصبحك لون الضوء

وتشرق بالأمل العينان

لكن كل ذلك لم يوقف مجازر المعتدي بل واصل وبعنف أشد، وشراسة أعظم، فتصوّر (هلال الفارع) غزة بأنها امرأة مفجوعة وقد عظم مصابها وهو يطلب منها الصبر مع علمه بأن صبرها قد سال في الحراب وجرحها واسعٌ دونه العذاب حيث يقول⁽²⁾:

صبراً على المصاب

يا مفجوعتي

صبرا على المصاب

أدري بأن صبرك الطويل سال في الحراب

وأني أمد هذه الأشعار

في موائد الخراب

وأن هذا الجرح واسعٌ

ودونه العذاب

(1) لأجلك غزة (قصيدة: رسائل إلى غزة)، ص 392.

(2) السابق، قصيدة (دم غزة مختلف جدا)، ص 556.

وأطبق الحصار واستشرى الجوع، وجفَّ الماء، فصور مأمون جرار غزة ومعاناتها بامرأة ينهشها الجوع، وعندما لا تجد طعاماً تنوي صيام النفل حتى تحفظ ماء وجهها من ذل السؤال وحين يقهرها الظمأ ترتوي بدموعها، فهي امرأة تدوس على جراحها، حيث يقول⁽¹⁾:

من خلف الأسوار تعلين

شموخاً يا غزة

ينهشك الجوع فتنوين صيام النفل

ولا تستجدين رغيماً

يقهرك العطش فتروين العطش

بدمع العين

إن الأمعاء الخاوية هُراءً لا يفل من صبر غزة فهي تشبع من العلا والكبرياء وإذا عريت فهي ترتدي ثياب التقي، ومهما صبَّ الإسرائيليون حقدهم، فهي تتحلى بالصبر والشموخ كالبحر الثائر يبتلع النيران، يقول الشاعر⁽²⁾:

تجوعين لكن تشبعين من العلا وتعرين لكن تلبسين التقي أزرأ
ونشبعُ لكننا جيعاً كرامةً ونلبس لكن من ثياب التقي نعري
يصبُّ عليك الحقد نارا فتتطفئ بجرح يمور الصبر في دمه كبرا
فها أنتِ ذي بحر البطولة ثائر وأنى لنار الحقد أن تبلع البحرا

وإزداد لهيب الحب وهجا بزيادة معاناة غزة فكثرت عشاقها، وها هي المطارحة الغرامية التي تكتب بوحاً جهوراً، وها هي الليالي بالشوق مفعمة وشذا الحب يفوح عطراً، فغزة الفاتنة بالوصل تغري، تقول (بنابيع السبيعي)⁽³⁾:

أحبك ضوعاً يذوب بشعري أحبك ورداً شذاه بعطري
سأكتب بوحاً جهوراً وأخفي من العطر شوقاً يداريه سطري
أعيد الليالي خيالاً وشوقاً لصوت حنون يداعب عمري
لأنني أحبك بالسّر قولي هروباً من الشوق يأوي لصدري
حبيبي تقدم إلى النصر سيفاً وهذا يكافئ أضعاف مهري

(1) لأجلك غزة، قصيدة (رسائل إلى غزة)، ص 394.

(2) السابق، محمد سليم الغزال، ص 449.

(3) السابق، (قصيدة حب تحت الحصار)، ص 639.

بغزة موتٌ وقهرٌ وليلٌ وأشبالٌ عهدٌ بها الصدق يجري

فكان اشـتياقي لغزة أسمى كذلك غـزة بالوصل تغري

وغزة عذراء مهرها ليس كبنات القوم دنانير أو درّ ثمين، فقد ساق الخطاب الشهداء مهرها لها، فنعم الخطيب ونعم المهر، ونعم الزواج، يقول (طارق عبد الله الساقى)⁽¹⁾:

و يا عذراء غـزة لا تتوحي وكفّي العين والدمع الحزينا

إذا سيقّت لبنت القوم مهر دنانيراً أو الدرّ الثمينا

فإني أبصر الخطّاب ساقوا لك الشهداء مهر الخاطبينا

فأنعم بالخطيب غلاء مهره وأنعم في زواج الصالحينا

وذات الفكرة يجسدها (رأفت رجب عبید)، حيث تصور غزة حسناء في ألقٍ غالية المهر؛ لأنها عروس في ذرا العلياء، حناؤها دماء الشهداء، وعاجل المهر جليل الفداء وأجل المهر سيول الدماء، يقول⁽²⁾:

هي الحسناء في ألقٍ..

وتغلي في الهوى مهرًا..

هنا غزة..

عروسٌ في ذرا العلياء..

عروسٌ والدمّ حناءً..

دما الشهداء..

وإن المهر عاجله جليلٌ فداءً..

وإن المهر آجله سيول دماءً..

وغزة امرأة ترسم المجد بإقدام وشجاعة، تواجه العدو مدججاً بالسلاح وسلاحها الإسلام العزيز، فانتصرت عليه، وأراد الباغ إرغامها، فغلق عليها الأبواب وحاصرها، لكن غزة عكست الوضع وحاصرته، وطرحته أرضاً تحت أقدامها، يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي⁽³⁾:

(1) لأجلك غزة ، (قصيدة: زئير غزة)، ص 267.

(2) السابق، (هنا غزة)، ص 179.

(3) موقع إلكتروني: أوفاز www.awfaz.com قصيدة على قمم النصر، الدكتور عبد الرحمن العشماوي.

غزة تشكو آلامها
تواجه الباغى وآلاته

.....
ما حاصروها حينما أغلقوا
بل حاصرت غزة أوهامهم
فما رأَت في الليل إلا ضحى

وترسمُ المجدَ بإقدامها
بمالها من عزِّ إسلامها

.....
أبوابها سعيًا لإرغامها
وطرحتها تحت أقدامها
يكشف عنها جور ظلامها

المبحث الثالث: السكن

منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام، لم يتركه وحيداً بل خلق من ضلعه حواء عليها السلام، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾⁽¹⁾.

فالسكن والطمأنينة تحتاج إلى كمٍّ هائلٍ من الحنان، "ولأن المرأة أكثر أفراد الجنس البشري حنوًا وعطفًا سواء أكان لزوجها أو أطفالها أو جيرانها أو المجتمع الخارجي بأسره، فقد تملك سمة العطف كسمة أساسية في شخصيتها"⁽²⁾.

وأَيُّ سكن أروعٍ من حضنك أيتها السيدة الحانية، حليلة بنت ذؤيب (حليمة السعدية) الحصن الذي ضم بين جنباته سيد البشر رضيعاً، تحكي السيدة حليلة السعدية: "فلقيني عبد المطلب فسألني من أنت؟ قلت حليلة من بني سعد، فقال: بخٍ بخٍ سعد وحلم، خصلتان فيهما الدهر وعزٌّ الأبد يا حليلة، وأخذني وأدخلني بيت آمنة بنت وهب، فقالت لي: أهلاً وسهلاً، وأدخلتني البيت الذي فيه محمد، فإذا هو مدرجٌ في ثوبٍ صوفٍ أبيضٍ من اللبن، وتحت حريرة خضراء، راقد على قفاه يغطُّ، يفوح منه رائحة المسك فأشفقت عليه (خفت أن أوقظه من نومه)؛ لحسنه وجماله؛ فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً، فتح عينيه إليّ فقبلته بين عينيه، ورجعت إلى رحلي فوضعت في حجري، قدمت إليه ثديي، فأعرض عن الأيسر وأقبل على الثدي الأيمن فشرب حتى روي"⁽³⁾.

أعرضت المراضع عن اليتيم، فالأب هو الذي يجزلُ العطاء وهو بلا أبٍ وأمٍ لا حول لها ولا قوة، لكن المرأة التي لم تحمله في أحشائها جنيناً حملته في أحضانها رضيعاً، فوجد السكن حيث تجلّى لنا كيف تكون المرأة سكناً ودفناً وحياة.

وفي الإسلام، "لم تعد المرأة مجرد متاع للرجل، بل أصبحت ركناً مهماً من أركان الأسرة، فليس للرجل سعادة ولا طمأنينة إلا إذا كان لزوجته مثل ذلك"⁽⁴⁾. قال تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً، إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون"⁽⁵⁾.

(1) سورة الأعراف: 189.

(2) محمد عسليّة، دراسة لمسّات الشخصية، ص 138.

(3) عبد العزيز الشناوي، نساء الصحابة، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة)، 1988م، ص 193.

(4) عادل أبو عمشة، قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان،

ط/1: (1047هـ/1987م)، ص 210.

(5) سورة الروم: 21.

لقد ماهى الشاعر (حميد بن ثور الهلالي) منذ القدم بين الشجرة والمرأة من حيث الظلال والعتاء والوقاية من حر الصحراء، "فالمرأة ترتبط بالشجرة من حيث الخصوبة والجمال والسكن إليها، فالشجرة الوارفة الظلّ التي تضرب جذورها في الماء، تستمد منه نضارتها وجمالها وسموقها تلك الشجرة هي المعادل الموضوعي للمرأة"⁽¹⁾.

الأم التي تواسي ابنها إذا وقع نهباً للقلق، فتسهر مع النجوم، وتقع فريسة للأرق، يقول الشاعر في قصيدة (أمي أرضعتني الرجولة)⁽²⁾:

أمّاه كم واسـيـتي ما دمت نهباً للقلق
وسهرت مع دنيا النجوم فكنيت نهباً للأرق
ولولا حنان الأم لعاش الإنسان طريداً، سقيماً فهي الظلّ الدائم، يقول الشاعر⁽³⁾:

ولولا حنانك يا ظلنا

لعتت سقيماً وابناً طريداً

فحبك يملأ نفسي طموحاً

وعندما يُفهَرُ الإنسان و تتقاذفه أمواج الحياة العاتية وذل التشرد والضياح في الغربة يشكو لأمه، يقول الشاعر⁽⁴⁾:

أمي! طحنت الماء في المقهى

ومسحت كل موائد الملهى

والسكن هي الحبيبة التي تمنح كل الحب للجندي الرابض في عمق فؤادها الزاحف للأرض وللبيت والحقل مدافعاً عنها، ففي قصيدة (اخترت الخطر) تقول الشاعرة⁽⁵⁾:

أيها الجنديُّ

في جيش بلادي

(1) حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 1427هـ/2006م، ص89.

(2) محمد أحمد أبو غربية، مواكب النضال، مطبعة الاعتصام، ط1: 1968م، ص100.

(3) حلمي الزواتي، عبير الدماء، مكتبة الخلود الكبرى، العباسية، ط1: 1973، ط2: 1976، ص48.

(4) ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، 1987م، ص456.

(5) حنان عواد، اخترت الخطر، اصدارات اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، ط1: 1988م، ص58.

أيها الرابضُ
في عمق فؤادي
وأنادي

يا حبيبي

إن الإسلام أراد المرأة حرة تفيضُ نُبلاً وتعرشُ لآدم بيته متألقاً؛ لتسود الحياة مودة وتعاطفاً
ففي قصيدة (حرة في ضلال الإسلام) للشاعرة أمينة محمود إبراهيم المريني، تقول⁽¹⁾:

وأراندني أما يدرُّ حليبها نبلاً وقلباً بالفضيلة ساجماً
وحمامةً عرشتُ لآدم بيته متألقاً يأتي ويدبرُ باسمها
والنساء منبع للسرور ومستقر للهناء، ففي قصيدة (أجل إننا في الحياة النساء) تقول الشاعرة
(إنصاف علي بخاري) من السعودية تقول⁽²⁾:

أجل إننا في الحياة النساء

ولكننا منبع للسرور... ولكننا مستقرُّ الهناء.

المرأة البلمس الشافي الذي يشجيك ويؤنسك، ويثبت خطاك "إنها الاستشعار الإنساني بالحياة
سالمة، آمنة، مطمئنة، فهي الأم التي يلهث قلبها وراء خطوات ابنها وهي الابنة التي تنتظر أبها
والزوجة التي تقاسمه حياته وهي الحبيبة وقد استوطن الحب قلبها وباعث شمس حياتها⁽³⁾.

وفي أحلك اللحظات وأشدّها قهراً في المحاكم العسكرية الإسرائيلية، حين القاضي هو
الجلاد المهيمن بظلمه وجبروته تجد ضالتك في نظرة من نظرات الأم، "ولا ملجأ إلا حضن الأم
الدافئ مصغياً لنبض قلبها الحنون الراجف، واستدرا لأمومتها القافزة في وجه الخطر"⁽⁴⁾.

وهذا ما كان مع د. كمال غنيم في الجلسة الأولى عند محاكمته، فرأى أمه ولسان حاله
يقول⁽⁵⁾:

أمي ناديتك يا أمي

(1) حسني أدهم جرار، شاعرات معاصرات، مؤسسة الزيتونة للنشر، عمان، الأردن، ط/1: 1421هـ-2001م،
ص55.

(2) السابق، ص77.

(3) فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفلسطيني، ص251.

(4) فايز أبو شمالة، رياحين بين مفاصل الصخر (سجن نفحة الصحراوي) مختارات من أدب المعتقلات، إصدار
جمعية الأسرى والمحربين، 2001، ص82.

(5) السابق، ص286.

والسلكُ الشائكُ يجرحني

وفؤادك يقطر تحناناً

وفؤادي يقتله شجني

وفي حرب غزة (الفرقان 2008-2009) لم تكن المرأة الفلسطينية بأقل مما هي عليه من سكينه وقلب كبير يستوعب من حوله بالحب والعطاء فهي ذات قدرة هائلة على أن تمنح الجميع طمأنينة، فيتلاشى الفزع الذي أشاعته الحرب، إنها هاجر يتدفق زمزم بين راحتها في صحراء جرداء قاحلة، الأم الفلسطينية في الحرب كما في السلم تغرس حبها، الأم قلب الوطن، الأم في فلسطين روافد للمحبة والعطاء، يقول الشاعر⁽¹⁾:

الأم تحفر زمزماً حين المياه تعطلت

الأم تغرس حبها حين المياه تعزرت

قلب الوطن

الأم في بلدي عرين الأتوياء

الأم تصمد للمحن

الأم في بلدي روافد للمحبة والعطاء

إن القصف المجنون، لم يثنها أن تؤنس رضيعها، فقد غالبت النوم ووسدته ذارعها وهي تهدده بكلمات الحب، هيّا حبيبي لم يعد وقت للصباح يقول الشاعر⁽²⁾:

كان قبل القصف يبكي

طالباً منها الرضاعة

غالبت نوماً عنيداً

واستدارت

أمسكت بالطفل تحضنه

ليرضع

وسدته ذراعها

(1) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، ص36.

(2) السابق، ص130.

لم تكن تدري بأن الموت
أسرع
هيا حبيبي لم يعد
وقتٌ للصباح
وتهاوت الجدرانُ بعد القصف
لم يترك سوى موت مباح

هذا في ليل الحرب أما في نهارها، فهي تجمع عائلتها وتفترش الأرض بالحصيرة حتى تدب الطمأنينة في نفوسهم وتطعمهم ببسمتها وحبها إلا أن صواريخ العدا كانت لهم بالمرصاد، يقول الشاعر⁽¹⁾:

والأم تطعمهم بـــــــــــــــــــــــــــــــــم ببســـــــــــــــــــــــــــــــــم
وكمبـــــــــــــــــــــــــــــــــرهم ما اجتاز خمـــــــــــــــــــــــــــــــــس
و يئـــــــــــــــــــــــــــــــــز صـــــــــــــــــــــــــــــــــاروخٌ فيه دم بـــــــــــــــــــــــــــــــــي
دم بـــــــــــــــــــــــــــــــــي تمـــــــــــــــــــــــــــــــــم متـــــــــــــــــــــــــــــــــم
الحضن الدافئ هو الأم، قصائد الحب هي الأم، في حضنها يبيض الحجر، وفي حضنها
نبنى بيوتاً وعليه للقمر، يقول الشاعر⁽²⁾:

وفي حضن أمي يبيض الحجر

بيوتاً و عليّة للقمر

قصائد الحب.. للأرض.. للنور

حتى إذا مرّ آذار في حيننا وانهمز

يُفرخُ أحلى وطن

الأم الفلسطينية برغم هذا الحب، العظيم لأبنائها، فهي تقديم بروحها، إنها ينبوع عطاء إلا
أنها تؤمن أن حب الله ومجد الدين ترخص أمامه حتى الأبناء، يقول الشاعر⁽³⁾:

الأم تحب الأبناء وتقديمهم

(1) لأجلك غزة، الشاعر مروان عرنوس، قصيدة (خنساء غزة)، ص518.

(2) السابق، الشاعر محمد دركوشي قصيدة (غزة العشق المتلاشي)، ص407.

(3) السابق، الشاعر مأمون فريز جرار قصيدة (رسائل إلى غزة)، ص394.

فالأم

ينبوع عطاء

لكن في حبّ الله ومجد الدين

ترخص كلُّ الأشياء

إنها الحرب الملعونة التي حرمت الأطفال حضنهم الدافئ الكامن في حليب أمهاتهم، أين أمنهم واستقرارهم؟ أين الشقاوة والدعابة والحنين، لقد أرضعهم الإسرائيليون صواريخ غزيرة تقتلهم لا حليب يحييهم، يقول الشاعر⁽¹⁾:

بصدى الطفولة وهي تحتضنُ

الأمانى في ربوع الذكريات

في جمال الأمسيات

لم يرضعوا شهب الطفولة

والشقاوة والدعابة والحنين

لم يرضعوا الوطن الحبيب

ولا حليب الأمهات

لكنهم رضعوا صواريخ الصهاينة

النمام بحقدهم ضد الحياة

إنها الأم التي أناجيها وتؤويني، وهي التي تبذل في البراري الزهور التي كنت أسقيها، لقد عملت الحرب عملها فعطلت البئر كما عطّلت فيها أوانيها، يقول الشاعر⁽²⁾:

إلى أمي أناجيها وتؤويني

لتبكييني على خلّ مضى في الغرم يكويني

وتذرفُ في برارينا زهوراً كنت أسقيها

على عطش وبئر عطّلت فيها أوانيها

(1) لأجلك غزة ، الشاعر محمد عبد الرازق أبو مصطفى (الصمت البريء)، ص459.

(2) صقر أبو عيدة، لمن يبكي؟، قصيدة: شقي غيمة البلد، ص35.

بريك هل تنامين الليالي والصغار جثوا

ولم يدروا بأن الموت خاطبهم

وعندما يعتريك شعور عنيف يضطرب فيه الفؤاد، وأنت حائر تقول له يا قلب انتد، وراودتك
رغبة في البكاء، لتطهر غيوم قلبك الجريح، ليس لك إلا الدموع، فهي لجوء حميم الى حضن الأم
علك تجد الطمأنينة التي تفتقدها والسكينة المنشودة، فالشاعر سالم المساهلي يقول(1):

تراودني رغبة في البكاء

تطهرني من غيوم الفؤاد

ومن طول صمتي

لأن الدموع لجوء حميم الى حضن أمي

وبوح شفيف لوجه الحقيقة

وغيث يبدد لفح الوهيج

وليل الأرق

الأم امرأة، والطفلة أيضاً هي امرأة، برغم طفولتها فهي حين تبتسم تشرق الشمس، وعندما
تتحدث، فحديثها ساحر، تشعر أمامها بطمأنينة عجيبة، وبذكائها تلمس الحزن في وجهك وتتساءل
عن سببه وتبادل ذلك حديث الغرام الذي لا يحصيه الكلام، وتستدرجك لتبوح لها بحزنك لما أصاب
غزة، يقول الشاعر(2):

لا تشرق الشمس إلا حين تبتسم

أواه من طفلة في أنفها شمم

تردي الكماة وأعيأ طرفها سقم

نجلاء تعشقها الأحاظ إن نظرت

وفي غداؤها تستفحل الظلم

خود تبرؤ محيا البدر إن سفرت

يسقيك خمره وهم كأسها الكلم

حديثها ساحر في صوتها صحل

والقلب يخفق والأحشاء تضطرم

قالت وقلت كلاما لست أذكره

من الغرام وهل يحصي الغرام قم

قلنا وقلنا ولم نبلغ مقاصدنا

حزني وما عاد حزني اليوم ينكتم

نفسى الفداء لظبي بات يسأل عن

(1) لأجلك غزة، قصيدة (لا تطمننوا.. نشيد غزة)، ص196.

(2) السابق، أبو زياد الانتصاري (من شنقيط يا أهل غزة)، ص38، ص39.

قالت بوجهك حزنٌ كنت تكتُمُهُ أ خَانَكَ الصبرُ أم أودى بك الألمُ
نعم بقلبي همومٌ كم شقيتُ بها دهري فما عزيوا إلا وقد هجموا
أنكأتِ غزاةً جرحاً في ضمائرنا عن فقد أندلسٍ ما كاد يلتئمُ
المرأة السكن هي ابنة بيت الأب إليها شكواه من ألم الجراح يشعر أنها تشاركه الهموم فيلوذ
إليها يستمد منها القوة والهدوء، يقول الشاعر⁽¹⁾:

شرعوا في قصف روجي

يا ابتاه انكسر الجرح على الجرح و أوثقتُ إلى قاع السفوح

وأنا أرفعُ منهم درجاتُ

كلُّ سقْفٍ عندهم دون سطوحِي

وذراهم في عيوني عتباتُ

ها أنا أرتق روجي بقروحي

.....

حاصروني يا ابنتي من كل صوبٍ

بنيوبٍ وخطومٍ ومناسمٍ

وأنا الأعزل إلا من شروخي

ثابتٌ في الريح، كالعهد وقائمٌ

قابضُ الف على جمرة روجي

وهي في كيفي تغني

لا تساوم

المرأة السكن هي الجدة التي طالما أتحتتنا بقصصها وكم هرعنا إليها مختبئين من صراخ
الأمهات، عندما تنير شقاوتنا الضجة في المكان، الجدة رمز اللمة والجمعة، حولها يتحلق الأبناء
والأحفاد، فهل ستترك لنا الحرب جدتنا وجلسة السمر بين البيادر في السهول؟ يقول الشاعر⁽²⁾:

أين السهول وجدتي تختال في كلماتها قصص السنابل والبيادر

(1) لأجلك غزاةً، (آدم فتحي: لا تساوم)، ص 54، ص 57.

(2) السابق، (محمد ابراهيم الحريري؛ ركام غزاة)، ص 418، ص 419.

والعراس والغناء؟

وأين يا كنت.. الرغيف ولقمةً عذراء

لم يلمس أصابعها الشراء؟؟

كُنَّا إلى وديان غزة نمتطي أجياد أغنية ونسرحها بناي

لم يفارقها الإباء

نعدو وتأخذنا الحكاية حيث شاء أو توفر من سماء

وفجأة طار الحمام ولم تقم من بعد أبراج الغرام

المرأة السكن، هي الزوجة التي هي خير متاع هذه الدنيا تضم زوجها في كنفها، فينهل من نبع صاف حتى يرتوي، وعند استشهاده تظل السياج الواقي لأبنائه، حتى يعيشوا لا على ذكراه، بل كأنه حاضر بينهم لم يغب ولكنها في كثير من الأحيان تشفق على أبنائها أن يكسرهم الحزن فتخفي صور والدهم رافة ورحمة منها، فيتساءل الابن.. هل قست يوماً أمي؟؟ ويحدث أباه الشهيد؛ بأن معطرة الجداول تخفي عن عيوني الصور حتى لا أرى وجه القمر. تقول الشاعرة⁽¹⁾:

ماما

لماذا تقفلين الباب في وجه الصور

.....

أتكون أمي من قست يوماً

وساعدت القدر !!

تلك الحبيبة لم تكن يوماً كتمثالٍ

يُصفد فرجةً

تسري إلى قلبي فتفتersh الحُجْرُ

أ رأيت يا بابا معطرة الجداول

كيف تخفي عن عيوني هذه

الصورة

(1) لأجلك غزة، (سماح المزين: لوحدة الإعدام انتقاء)، ص611.

حتى لا أرى وجه القمر

لقد امتزجت عواطف المرأة الفلسطينية بقضيتها فهي عندما تكون أما رؤوماً وزوجة حانية، فهي تناضل، "الأمومة في فلسطين نضال، ولكن النضال مهما كان قد لا يرتقي إلى مستوى الأمومة!

إنها عبء الحياة الملقى على كاهل المرأة، وقد ناطح الرجل صخرة الواقع العنيدة، فعاد إليها يلقي بهومومه وأحزانه في حجرها"⁽¹⁾.

والمرأة السكن هي الحبيبة التي أدمت القلوب بعشقها، وما تنفك أن تكون أملاً تهفو إليه الروح، ولكن في غزة تعكّر صفو الحياة، حيث لا ليلى التي جُنَّ بها قيس، إن ليلى في غزة، تقلّب الطرف متسائلة من يطعم طفلاً جريحاً وهي تتوق للأمجاد تحضنها، تقول أغيد الطباع⁽²⁾:

قالوا رويدك ما.. ذا الشعر تكتبه
من أدمن الآه عاش العمر في كدر
يا قوم عذراً فأفراحي مهاجرة
ليلى بغزة تدعو وهي ضامرة
ليلى تتوق للأمجاد تحصنها
لا فيه ليلى ولا حبّ تؤججه
فارفق بدهرك وانس ما يكره
والشعر يعكس دهري لا يُجمّله
تقلّب الطرف من لطفل يطعمه
كيما تعود لصدر البيت تعمه

وتظل ابنة غزة رمزاً للطهر والبراءة، ذات وجه موشي بالسناء، إنها طائر الفردوس بألحانه الموجعة، فعيناها يسافر نورها عبر الآفاق، وشفتها تقطر بالأحلام عزة، تقول جميلة الرجوي⁽³⁾:

يا ذلك الوجه الموشى بالسنا
يا طائر الفردوس لحنك موجع
تركوك يا طهر الجمال وعطره
تركوك يا بدر البراءة وردة
يا كاشفاً حجم المآسي بيننا
أرسي جبال الحزن فوق عيوننا
تلقين في ليل الردى حمم الفنا
في ساحة الإعدام تحصد عجزنا

.....
عيناك في الآفاق سافر نورها
شفتك بالأحلام تقطر عزة
لمدائن الأطلال تبني صرحنا
تمحو من الأيام صفحة بؤسنا

(1) فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفلسطيني، ص 277.

(2) لأجلك غزة (قصيدة، ما..ذا؟)، ص 598.

(3) السابق، قصيدة: يا بنت غزة، ص 601، ص 602.

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

- المبحث الأول: الظواهر اللغوية
- المبحث الثاني: الصورة الشعرية

المبحث الأول: الظواهر اللغوية

خصائص الألفاظ

اللغة ألفاظ يعبر بها الناس عن احتياجاتهم ويتواصلون بها مع الآخرين، واللغة العربية كغيرها من اللغات، بل أشرفها وأجلها قدراً؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وبه خلدت، فقد نزل معجزاً بألفاظه وبيانه، متحدياً أهل البلاغة والفصاحة، "واللفظ هو وعاء المعنى، ويجب أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، يمتاز بروق الفصاحة، ويخلو من البشاعة"⁽¹⁾.

وما الشعر إلا بناء، لبناته الأساسية الألفاظ الناهضة المنظومة كحبات اللؤلؤ في العقد المتماسك، "وعلى الشعراء الأفضال يقع عبء تجديد دم اللغة، وإمدادها بالحيوية"⁽²⁾.

فهي تتولد من فكر الشاعر؛ لتخرج في أبهى صورها إلى أذهان المتلقين التي لا حدود لها؛ لأن "اللغة ليست رداء للفكر أو قالباً له أو إناء يحتويه، إنما هي الفكر نفسه مجسداً في ألفاظ لغوية"⁽³⁾.

وليس من السهل أن نحصر معاني الألفاظ في الشعر أو نضع لها قالباً خاضعاً لتحليلنا، "فاللغة في الشعر تعتمد على شفاهية حدسية، وعلى لمعان خاطف يتموج خلف الكلمات ومن هنا ندرك أن القصيدة لا تحتل معنى محدداً بل إن معانيها تتخلق في السياق العام"⁽⁴⁾.

والشاعر صانع حاذق يلائم اللفظ بالمعنى الذي سيقف لأجله ويوازن بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، "وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها.. وكم من جوهرة نفسية قد شينت بقريئة لها بعيدة منها"⁽⁵⁾.

لقد شاكلت الألفاظ المعاني والأحاسيس التي عايشها الفلسطيني عامة، إبان حرب الفرقان، وأحاسيس المرأة وما اشتعل في صدرها من آلام ومعاناة، وطففت على سطوح الأشعار ألفاظ عبرت عن هذه المعاناة وتلك الأحاسيس، ذلك ما نراه في قول الشاعر⁽⁶⁾:

(1) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص74.

(2) محمد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط/1: 1410هـ - 1990، ص22.

(3) رجاء عيد، لغة الشعر، (قراءة في الشعر الحديث)، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985م، ص98.

(4) ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، عام 1992م، ص116.

(5) ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان: 1988م، ص20.

(6) ديوان الفرقان، أحمد مفلح، قصيدة غزة تنتصر على المحرقة، ص56.

أما لجراح غزة من طبيب أما لحصارها ذا من مجيب؟
إذا أبصرتها أبصرت وجهها تلاشى بين السنة اللهب
قذائف لا نظير لها تهاتت لمئذنة تنخ على الكيب
لأم فارقت ولها رضيع تشبث بالإزار وبالجيب
لأيام خلت ما زال حياً يلوب أسى على الصدر الحبيب
لقد تشكل النص من ألفاظ تفوح رائحة الموت مثل: جراح - السنة اللهب - قذائف - أم
فارقت - يلوب أسى.

أما الشاعر حسن التميمي فيتخير من الألفاظ ما يعبر عن هول وقع المأساة على قلب الأم،
يقول الشاعر (1):

جث مفحمة هنا
جث مقطعة هناك،،
جرحى بلا أيد هنا
جرحى مشوهة هناك،،
أم تضم صغارها القتلى هنا
وآب يفتش في ركام البيت
عن أبنائه فلعل بعضهم
على قيد الحياة لها
أن الجميع بلا حراك

إنها الحرب ورائحتها النتنة، وصورتها القبيحة، نلمسها في لفظة (جث) بالجمع لتدل على
كثرة القتلى، ومفحمة ومقطعة ومشوهة ولفظة: جرحى توحى بالكثرة فكأن أنينهم يؤز مسامعنا، ولم
يغب مشهد المرأة التي استشهد أطفالها ومع ذلك هي تضمهم كأنهم أحياء لم يفارقوا الحياة.
ويأخذ الشاعر اتجاهها آخر للتعبير عن أهوال الحرب وآثارها عن الأم المفجوعة بأعز ما

(1) لأجلك غزة، قصيدة: غزة الكرامة والعزة، حسن التميمي، ص136.

لديها، حيث ينثر الألفاظ المشحونة بمعاني الصبر والصمود، ذلك ما نراه في قوله (1):

فتلك أم تهاوى سقفا منزلها تحته نام مرجو ومحبوب
تفر من حولها النيران مفزعة كأنما الغيث فوق النار مسكوب
تمر عاتية والكبر تاه بها وحولها جدل الشبان والشيب
وأشرعت ساعداً قال الصمود له بك اقتداري وعزمي منك مجلوب

أما الألفاظ التي توحى بالدمار والهلاك مثل: المجازر - المذابح - الأهوال - المآسي - الفظائع. في جمع تكسير كما تتكسر المبادئ الإنسانية على أيدي الصهاينة وهم يمارسون همجيتهم ويعيثون في الأرض فساداً، يقول الشاعر (2):

أهل المجازر والمذابح مذ أتوا في الأرض عاثوا أشنع الأهوال
رغم المآسي والفظائع أبشري يا ابنتي بمواهب المتعال

كذلك تغوي الشعراء بعض الألفاظ التي تعبر عن أسلحة الدمار التي استخدمتها إسرائيل في حربها على غزة، ويضحي بعضها عتبات نصية تتربع على صدر القصيد، من ذلك قصيدة "عرس على جمر الفسفور" و "نقوش على قذيفة فسفورية" لخضر أبو ججوح و "تكفور وقذائف الفسفور" لمحمود الرنتيسي و"ديوان غزة.. من الفسفور إلى الزاجل" لعيسى الردي، وتنتشر الدلالات التي تعبر عن آثار هذه الأسلحة، وها هو الشاعر يقول (3):

والفسفور على عينيّ غزة

يسكب موتا في عظم السرو المتفحم

عادت تحمل ولديها بيدها

جذوة فسفور متفحم

وهو يقول أيضاً (4):

لمن أهدي دموعك يا دلال!؟

(1) ديوان الفرقان، قصيدة أطفال غزة، عبد الرحمن الأحمد، ص72.

(2) السابق، قصيدة طيبي دلال، صبري الصبري، ص245.

(3) لأجلك غزة، خضر أبو ججوح، قصيدة: نقوش على قذيفة فسفورية، ص164.

(4) السابق، خضر أبو ججوح، قصيدة: لآلى العذاب، ص162.

وفي هديبك فسفور

وأشلاء

وفي كفيك طلقات

ورعب في شظايا الموت ينثال

ويقول آخر⁽¹⁾:

إذا أبصرت أبعثرت وجهها تلاشي بين أسنة الهميب
قدائف لا نظير لها تهاتت من الفسفور في لون الحليب
وهو يصور الحزن كؤوساً يرتشفها الناس في الصباح وفي المساء، والجمام تتبخر في
لهيب الفسفور، إذ يقول⁽²⁾:

في غزة يرتشفون كؤوس الحزن صباح مساء

وجمامهم تتبخر في لهب الفسفور

ومن الآثار الناجمة عن الحرب معاني الألم التي تحملها بعض الألفاظ مثل: "دمعتها - دمع
- دماء" فيقول في قصيدة أخرى⁽³⁾:

في زمن الفسفور

هل تمسح دمعها؟

عيناها نهرا دمع ودماء

وعلى الخدين أخاديد

وكانت لغة النعمة والعتب معاً على الأمة العربية بارزة في حرب غزة فهي أمة لا يُعوّل
عليها كثيراً فأين سالف مجدها ووحدتها، ومن الألفاظ التي تدل على وشائج القرابة التي توجب
الهيئة لنجدة غزة (عم - النسب - وفاء - عصارة - أهل)، يقول الشاعر⁽⁴⁾:

(1) ديوان الفرقان، أحمد حسين مفلح، قصيدة: غزة تنتصر على المحرقة، ص56.

(2) لأجلك غزة، خضر أبو ججوح، قصيدة (عرس على جمر الفسفور)، ص160.

(3) السابق، قصيدة نقوش على قذيفة فسفورية، ص170.

(4) ديوان الفرقان، قصيدة: أيا عمّ، خالد الطبلابي، ص619

أنا يا عمُّ إن صحت فنون حسابكم طفلاً

ولكني بحبل الله رغم الجرح متصل

رضعت عصارة الإيمان من أُمِّي

فليس بصدورها شيء

سوى الإيمان ينتهل

قالت لي وفاء أنكم أهل

ورغم الحزن والأسى لم تخل أشعار حرب غزة - خاصة ما يتصل بالمرأة- من ألفاظ تشع بالأمل والنصر وزوال الاحتلال وانقشاعه، فقد وعد الشاعر الطفلة "دلال" بعودة دارها مشيدة حيث الحديقة الغناء مستخدماً (مشيدا- حديقة - مخضرة - ظلال - ثمار - الندى - استقلال - تعمريه - تنجبي)، إذ يقول⁽¹⁾:

سيعود بيتك يا دلال مشيداً بحديقة مخضرة بظلال
فيها ثمار التين يثمر بالندى والنخل والزيتون باسـتقلال
لتعمريه على الدوام وتنجبي أطفال طهر كلهم كرجال
إنها الآمال والأحلام تبرق، ويدون الأبطال خطوط المجد لتمحق الظلم وتكسره فيضيء فجر الحرية وتدل على ذلك الألفاظ (الآمال - الأحلام - المجد - الضياء - فجر - المصباح - الأنوار).

كما جاء في قول الشاعر⁽²⁾:

أحدثهم عن الآمال والأحلام نصنعها

وعن أبطالنا رسموا خطوط المجد من دمهم

وأقسم أخوض الليل أمحقة وأكسره

وأتي بالضياء هنا على عجل

وفجر يحمل المصباح والأنوار

(1) لأجلك غزة، صبري الصبري، قصيدة (طبيي دلال)، ص 258.

(2) ديوان الفرقان، رفعت زيتون، قصيدة (قسم شعري)، ص 367.

التراكيب أو الجمل:

لا ينظر الدارس إلى اللغة الشعرية من خلال كونها ألفاظاً وتراكيب مرصوصة تراعي النسق اللغوي السليم كما تعارف عليه العرب القدماء أو كما حدد شروطه علماء النحو، بل ينظر الدارس إلى طاقات هذه اللغة الإبداعية، مكنوناتها الفكرية والنفسية التي تحقق للشاعر البوح برؤاه وأحاسيسه تجاه الواقع الذي يعيشه أو الذي يتمنى العيش فيه.

ولما كانت الألفاظ والجمل هي لبنات هذه اللغة؛ فإن المعاني التي تعبر عنها الألفاظ أو المفردات خارج التراكيب الشعري تختلف حتماً عنها في داخل التراكيب، وذلك لأن الشعر "في جوهره يقوم على إيجاد علاقات نحوية بين أشياء لا علاقة بينها في العرف الاستعمالي المألوف مما يترتب عليه انحراف دلالي في سياقٍ خاص يعمل بالضرورة على توليد دلالات جديدة مبتكرة"⁽¹⁾.

والألفاظ في داخل التركيب إذا عزلت عن باقي المفردات تكون قاصرة عن البوح بكل ما يريد الشاعر البوح به.

إن المفردة بكل مخزونات التعبير وطاقاتها الفكرية والايحائية لا تستطيع البوح إذا عزلت عن الجمل والتراكيب التي تشاركها حمل التجربة والرسالة التي يعبر عنها الشاعر.

وإذا كانت الباحثة استنطقت دلالة بعض المفردات في الصفحات السابقة، ووقفت على ما تختزنه تلك المفردات من أوجه المعاناة، ومشاعر الألم بهدف تمثيل الألفاظ الطافية في شعر حرب الفرقان، فإن الغاية في هذا المقام الوقوف على أنواع الجمل والتراكيب في هذا الشعر ومحاولة استنطاق دلالاتها ومخزوناتها النفسية.

الجملة الاسمية:

قسم النحاة الجملة إلى اسمية وفعلية ويميزوا من الناحية الشكلية بين الجملتين، فجعلوا الجملة الاسمية هي التي تبدأ باسم، والفعلية هي التي تبدأ بفعل، ولأن هذا المبحث يستهدف الدلالة ودورها في الأداء الشعري فلا حاجة بنا إلى مسابرة النحاة في النظر في بناء الجملة من الناحية الشكلية، وإنما الحاجة إلى تعريف الجملة بناءً على ما وضعت للتعبير عنه، فهنا نرى أن الجملة الاسمية وضعت في الأصل للدلالة على ثبوت الوصف لموصوفه، لأن الخبر في حقيقته وصف، فجملة "الهواء معتدل" -مثلاً- تفيد ثبوت صفة الاعتدال للهواء، بقطع النظر عن حدوث أو استمرار ودوام، لأنها تدل على المعنى من غير اختصاصٍ بزمان.

(1) محمد حماسة عبد اللطيف، ظواهر نحوية في الشعر الحر، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص17.

وقد تدل على الثبوت والاستمرار -أيضاً- إذا اكتتفتها قراءة تدل على الاستمرار، فقول الله عز وجل في معرض المدح: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نِعِيمٍ﴾⁽¹⁾ وفي معرض الذم: ﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾⁽²⁾.
لقد عبر الشعراء بالجملة الاسمية عن مشاعرهم الثابتة تجاه غزة إبان حرب الفرقان، ودلوا على ثبات رؤاهم نحو أصالتها وعراقه صفاتها، من ذلك ما نراه في قول الشاعر⁽³⁾:

لنخيل غزة وحده جدلية الرؤيا.. ومعرفة

العدو من الصديق

ليرتقالها الكريمة.. برتقالة الشمس..

في العسل الجليل

سر انتلاف السم في الدقلي

مع الورد الحنون

لمساء قهوتها.. الحضور

لي الأغاني تحت شرفتها.. جبال في البعيد

شجر.. ومفتاح الكتابة.. نور أمي

إن المرأة حاضرة في أجواء هذه المعركة، فهي كما تجلت في الأنموذج السابق بأهم صفاتها: الحنان والنور الذي يضيء الدروب ويبعث الأمل في النفوس، تتجلى أيضاً في قول الشاعر⁽⁴⁾:

وغيد تغرس الأمجاد للأمة

غراس لابنة الأزور

جناها الموت للباغين قد أثمر

جناها أمة منحوتة من قدرة الأعلى

دم الفتیان حبر وثيقة كبرى

(1) الانفطار، آية 13.

(2) الانفطار، آية 14.

(3) ديوان الفرقان، قصيدة: معلقة غزة على أسوار القدس، خالد أبو خالد، ص 606-607.

(4) السابق، قصيدة: سهلّ وشلا، ابراهيم الفوزان، ص 572.

وثيقة لعبة حبل

وثيقة لحظة سكري

تتجلى بصفتها صانعة الصمود واستمرارية التصدي والنضال فصفة الثبات التي بدأ بها السطر الشعري تبعثها حركة واستمرارية انبعثت من الفعل المضارع في قول الشاعر: "وغيدٌ تغرس"، وكما هو معلوم فإن الجملة الاسمية التي تدل على الثبات والاستمرار إذا أتى خبرها جملة فعلية فإنها تدل على التجدد، وهذا ما ذهب إليه الشاعر في الأنموذج السابق.

وفي سياق الصمود الدائم، والهدف الراسخ الذي لا يتزعزع، واليقين الذي لا يعتوره الشك بحتمية الانتصار، تستخدم الشاعرة بهيجة إدلبي الجمل الاسمية؛ لتحقيق هذه الدلالات في قولها (1):

أنا غزة وهذا دمي ووعيدي فدمي إلى سر الوجود وجودي
لي قبلة للنصر أسعى نحوها فتراب أرضي من دماء جدودي
أنا غزة وليشهد التاريخ لي أني أحطم غاصبي وقيودي
ويأني فجر يعانق وعده بنزيف جرح مشرق وعنيد
هذي دمائي فاغسلوا آثامكم لأتمم بالنصر الأكيد وعودي

وتبدأ الشاعرة جميلة الرجوي بوحها الشعري بضمير المتكلم (أنا) للتأكيد على اعتزازها وفخرها بصمودها الثابت بالرغم من أشكال المعاناة التي تكابدها غير آسفة على عيش بلا طوح وإحساس بالحرية، تقول: (2)

أنا المدعوة الخنساء في زمني

أنا المأزوم في وطني

فإن أبقى على سجني

فلا أسف على عيش

بلا حلم وحرية

لقد استلهمت الشاعرة رمزاً من رموز التراث الأدبي اسم "الخنساء" لكي تختزل الحديث عن مرارة المعاناة والقدرة على التحمل، وكذلك تبدأ الشاعرة "بهيجة إدلبي" وقولها الشعري بضمير

(1) ديوان الفرقان، قصيدة أنا غزة هذا دمي، بهيجة مصري إدلبي، ص 110.

(2) السابق، قصيدة: قسمي وعهدي، ص 280.

المتكلم "أنا" متماهيةً مع الوطن المستباح -كسابقتها- أو معبرةً بلسانه عن الثبات والصمود في وجه المحتل وضرباته المميّنة، وهي تحتُ الأمة العربية على نصرتها؛ لأنها منهم وهي حلمهم لو كانوا يعقلون، ذلك ما نراه في قولها: (1)

أنا أحتمي بدم الشهيد وطهره
أنا منكم لمّا بقايا حلمكم
أنا حلمكم لا تقتلوه بغيكم
هذي دمائي فاغسلوا آثامكم
كونوا معي كي تنهلوا من جودي
وتمسكوا بدمي وحبيل وريدي
كي لا أموت بحلمي الموعود
لأتم بالنصر الأكيد وعودي

فالحب لغزة موصولٌ ثابتٌ بثبات وديمومة الجملة الاسمية والخجل دائمٌ من دموع الثكالي الذي لا ينضب بسبب الاحتلال، يقول الشاعر: (2)

فإن كان حبك نبع الحياة
فإنني ودمع الثكالي خجول
.....
.....

وما ذنب طفلٍ سليل الحروف
فوالله إنني نشيدُ الشهيد
أقول أحبك زهر الوجود
وما سحر حبي إذا كان جهراً
وأنت الأغاني وشعري الهطول
وإنني أسير وماذا أقول؟
وأنت الربيع الذي سيطول
وأنت الرموز وحبزّ يجول

وستظل غزة كما كانت رغم ما تتجرعه من ظلم، وهي مدينة حاملة ككل المدن تحب الحياة، ف(غزة عروس)، و(حكاية فوق الرمال)، و(صبية كانت تفكر) وجملة الاستدراك (لكن غزة ذنبها) كل هذه الجمل الاسمية وردت في قول الشاعر (3):

غزة عروس الكرنفال

وحكاية فوق الرمال

وصبية كانت تفكر كيف تبدأ يومها

ومدينة كانت ككل مدينة تهوى الحياة

لكن غزة ذنبها

(1) ديوان الفرقان، أنا غزة هذا دمي، ص110.

(2) السابق، قصيدة غزة البتول، محمد كمال السخيري، ص250.

(3) السابق، قصيدة: دمعة على رمال غزة، وليد دويكات، ص411.

وجه الهوية

وذات المعنى يتكرر فغزة عروس في ذرا المجد، وتتابع الجمل الاسمية: مثل عروس في ذرا العلياء و الدما حناء، والجملة الاسمية المؤكدة (إن المهر)، إذ يقول الشاعر⁽¹⁾:

هنا غزة..

هي الحسناء في ألقٍ..

عروس في ذرا العلياء..

عروس والدما حناء..

دما الشهداء..

وإن المهر عاجلة جليل فداء..

وإن المهر آجله سيول دماغ..

ومن خلال الجمل الأسمية وثباتها عبر الشاعر عن ثبات الفلسطينيين في أرضهم فهم الزيتون المنغرسه جذوره في أعماق التاريخ مثل: نحن الزيتون - والغازون هم العرقد، يقول الشاعر: ⁽²⁾

يا غزة

نحن الزيتون الضارب في أعماق

الأرض جذوراً في التاريخ

والغازون هم العرقد

.....

وأذان بلال ما زال صداه

منذ الفتح العمري إلى يوم البعث

صداه يتردد

(1) لأجلك غزة، قصيدة: هنا غزة، رأفت عبيد، ص179-180.

(2) السابق، قصيدة: رسائل إلى غزة، مأمون جرار، ص396.

الجملة الفعلية:

تبدأ الجملة الفعلية بالفعل الذي يمثل صورة من صور التعبير عن الحركة، وهذا يتصل بما وضعت له الجملة الفعلية التي تفيد الحدوث والتجدد في زمنٍ معين، وقد تفيد استمرار الحدوث والتجدد إذا كان الفعل مضارعاً.

وقد استثمر الشعراء دلالات الجملة الفعلية لتصوير مشاهد الحرب على غزة، وإشراك المتلقي في تتبع مشاهد القصف الصهيوني، وما يخلفه من دمارٍ ودماء، وكذلك للبوخ بما يعتمل في صدورهم إزاء غطرسة الباغي الصهيوني، وصمت المتخاذل العربي.

ان اقتران الفعل بالزمن دفع الشعراء الذين كتبوا قصائدهم في أثناء الحرب لاستخدام الفعل المضارع للتعبير عن استمرار الهجمات على غزة، وتواصل العدوان دونما توقف، من ذلك ما نراه في قول الشاعر: (1)

توالى عليها النارُ من كل جهةٍ

فما زادها الإحراقُ إلا تذهُبا

.....

ولا تلعنُ الأسبابَ أمن تسببا

لمن آثر الإقدام أو من تنكبا

أما الشاعر صبحي ياسين فقد راح بين أزمنة أفعال الحركة والحدوث والاستمرارية، والأزمنة

الثلاثة، وذلك في قوله: (2)

وجوى يفيضُ وخافقٌ يتحرقُ

مَنْ ذا الذي يحنو عليه ويشفقُ

فلعل عودي قرب عودك يورقُ

.....

كالطفل يُجهشُ بالدموع فيشهقُ

.....

شوقاً إليها مهجتي تتمزقُ

من صدره نهر المارة يدفقُ

ابداً لذكرك أدمعي تترققُ

قد جفَّ عودي وانطوت أوراقه

هل من سبيل كي أضمَّك لحظةً

.....

ولقد بكيتُ على ذراعك ساعةً

.....

يا غربتي قولي لغزة إنني

قولي لها إن الغريب مضيعُ

(1) ديوان الفرقان، قصيدة لغزة قلبي، إبراهيم محمد إبراهيم، ص70.

(2) السابق، قصيدة: يا غزة، صبحي ياسين، ص206.

ولغزة تاريخ طويل من الصراخ والثكل والأشلاء، وبالجملة الفعلية رسم لنا الشاعر صورة المرأة الفلسطينية وهي تفترش الرمال وتتخي الرجال ولم تجد من يساعدها، فتكون النتيجة أن تكف عن سؤالهم والنهاية معروفة ومحققة يقين لا يحتمل الشك باستخدام قد مع الفعل الماضي: (قد مات) وتكرارها، يقول الشاعر⁽¹⁾:

وصراخ ثكلى تحمل الأشلاء

نازفةً

وتفترش الرمال

تنحني الرجال على تخوم حدودها

ولم تجد خلف المعابر

من رجال

فتكف عن ذل السؤال

قد مات في فهمها السؤال

قد مات في فهمها السؤال

وبالجملة الفعلية يشرح لنا الشاعر كيف عم البلاء وازداد البغي ونسفت المنازل وأوقدت نار الحرب. يقول⁽²⁾:

عمّ البلاء وساءت الأحوال وازداد بغي المفسدين وطالوا
هدموا المنازل والحصون وأوقدوا للحرب ناراً مالها أمثال
نسفوا المساجد والشيوخ وحطموا رأس النساء ومزق الأنجال
ذبحوا الرجال ويستغيث نساؤهم ودمائهم فوق الحطام تلال

وبالجملة الفعلية يسمنا الشاعر آهات الثكالى فهي لغة يفقهها كل البشر فجاءوا لنصرة غزة، يقول الشاعر⁽³⁾:

أسمعوني فإن آه الثكالى لا أراها تحتاج للترجمان

(1) ديوان الفرقان ، قصيدة: رأيت الصبح في غزة، محمد حديفي، ص444.

(2) السابق، قصيدة: صبراً آل غزة، عمرو سعد عواد، ص243.

(3) السابق، قصيدة غزة الأبية، غالب محمد أصلان، ص326.

فهمتها كل اللغات وجاءت قبل أهلي لنصرة الفرقان
وبالجملة الفعلية المتتالية يتحدث الشاعر عن حرب غزة وحصارها وما نجم عنه من جوع
وعطش مستمر، مثل: ينهشك الجوع - تتوين صيام النفل - يقهرك العطش - تروين العطش -
تعلين الصرخة، نجد ذلك في قول الشاعر⁽¹⁾:

ينهشك الجوع، فتتوين صيام النفل

ولا تستجدين رغيفا

يقهرك العطش، فتروين العطش

بدمع العين

تعلين الصرخة

فيرد صداها: نحن معك

التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير تكنيك لغوي استقطب أثره انتباه البلاغيين من ناحية والنجاة من ناحية ثانية،
كما حظي بعناية كبيرة منهم، إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين موقف كل منهما إزاء هذه الظاهرة.
النحاة اهتموا بترتيب الجمل الثابت منها والمتغير، وما يجوز ان يتقدم على غيره وما لا يجوز، يعني
رصد الظواهر فقط. أما البلاغيون فقد اهتموا بظاهرة التقديم والتأخير ليكشفوا قيمتها الدلالية والفنية
في العمل الأدبي.

وسواء أكانت الجملة اسمية أم فعلية فقد قام الشعراء بتقديم وتأخير في بنائها؛ وهذا "لا يرد
اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه؛ إنما تكون عملاً مقصوداً، يقتضيه غرض بلاغي أو داعٍ من
دواعيها"⁽²⁾.

ومن أهم الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير⁽³⁾، التخصيص، وتقوية الحكم، وتقديره في نفس
السامع، والعناية والاهتمام، وتقديم الكثير على ما هو دونه، والتدرج في العدد. قال تعالى: ﴿إِنَّا كَـ

(1) لأجلك غزة، قصيدة: رسائل إلى غزة، مأمون جرار، ص394.

(2) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974م، ص149.

(3) للاستزادة، ينظر: محمد علوان ونعمان علوان، من بلاغة القرآن الكريم، مطبعة الرنتيسي للنشر والتوزيع، ط/4:
1430هـ - 2009م، ص79.

كَعْبُدُ وَإِيَّاكَ كَسْتَعِينُ⁽¹⁾.

ومما جاء في شعر الفرقان عن المرأة، تقديم الجار والمجرور على المفعول به في قوله:
(أريد لغزة شعراً)، وكذا تقديم شبه الجملة الجار والمجرور أيضاً على الاسم المعطوف كما في "يعيد
البنين إلى أمهم والبنات"، وكذا تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المتصل بعائد يعود على بعض
الخبر كما في " لغزة أطفالها" وتقديم المفعول به (خيوطاً) على الفاعل وهو "البوارجُ والطائرات" ذلك
ما نراه في قول الشاعر⁽²⁾:

أريد لغزة شعراً

يعيد البنين إلى أمها والبنات

لغزة أطفالها

.....

لا لن تميل خيوط ردائي البوارج والطائرات

أنا من تُعدّل بوصلة الأمة المائلة

لغزة أطفالها

وكذا تقديم الخبر للتخصيص مثل (لهم عدن من الغفار مأوى)، في قول الشاعر⁽³⁾:

لهم عدنٌ من الغفار مأوىً بجنات الخلود مع الأمين

وكذا تقديم غزة لمكانتها وأهميتها على الفاعل (أرملة) في قوله:

لم تبتك - في غزة - أرملة، وكذلك تقديم "في أمتي" على معنصم وشبه الجملة "فينا" على
"فتى" وذلك للتقدير، أليس في امتي العصماء معنصم كما في قول الشاعر⁽⁴⁾:

لم تبتك في غزة العصماء أرملةً ولا تضرع طفلٌ بين أحضاني
هل للطفولة إلا أن تهيب بهم فما لأمثالهم في الكون من ثاني
أعزة خفقت بالعزم رأيتهم رُغم الجراح ولا تشكو لإنسان

(1) سورة الفاتحة، آية 4.

(2) ديوان الفرقان، قصيدة: ديوان غزة.. من الفسفور إلى الزاجل، عيسى الرومي، ص416.

(3) السابق، قصيدة بشائر النصر الغزي، جميل الكنعاني، 314.

(4) السابق، قصيدة: غزة الأبية، غالب محمد أصلان، ص326.

أليس في أمي العصماء معتصمٌ أم ليس فينا فتىً من آل مروان
ومن تقديم شبه الجملة الظرفية (من حولها) لتخاذل الأمة العربية ودورها السلبي في الانقسام
و تفكك أوامر الشعوب، يقول الشاعر⁽¹⁾:

الله أكبر كم سيفٍ يخاصرها وكيف من حولها العيران تنقسمُ
وكيف يكون لا جرد يصدقهم لكن غزاة تراثهم وتبتسمُ
ومن تقديم المفعول به على الفاعل وذلك لإظهار عظم المفعول به وهو (طهر عذرتها) على
الفاعل وهو (عديمو الأصل)، قول الشاعر⁽²⁾:

وهذي غزاة العذرا ء تدفع من أذى جنبٍ
أيهتك طهر عذرتها عديمو الأصل والنسب؟
وتقديم المفعول به (مجد العرب) لإبراز أهمية هذا الهدف السامي وتخصيصه دون سواه،
الذي تحرص الأمهات على إذكائه في النفوس ما يحمل قول الشاعر⁽³⁾:

فلسطينيةٌ أمي وربت

وبالإسلام قد شمخت وعلت

ومجد العرب للأبناء عدت

ومن تقديم شبه الجملة الجار والمجرور وهو خبر مقدم على المبتدأ، لتخصيص حب غزاة
المتميز الذي يشعر به الشاعر، ولا يشبهه أحد في ذلك، تقديم (لي) على (شرعة) وذلك في
قوله⁽⁴⁾:

لي شرعةٌ في الحبّ ليس يشبهها شيءٌ تخالف حتى شيمة العرب
ومثلها تقديم (لهم) على المبتدأ (حياء) في قول الشاعر⁽⁵⁾:

وصوت الحق وضّاح مبينٌ لمن لهم إذا سمعوا حياءً

(1) ديوان الفرقان ، قصيدة: غزاة تكللها النار، يوسف أبو سالم، ص308.

(2) السابق، قصيدة: ألا يا قادة العرب، عبد السلام كامل عبد السلام، ص78.

(3) السابق، قصيدة: دماء العزة في غزاة، لطفي منصور، ص457.

(4) لأجلك غزاة، قصيدة: غزاة إلى أين، يوسف أبو عواد، ص590.

(5) ديوان الفرقان، قصيدة: بغزاة عزة الإسلام ترمي، حسن عزيز بوشو، ص44.

ومنه أيضاً تقديم (حولي) على (متسع) لإحكام الحصار من حول أهل غزة رغم اتساع الكون وذلك في قوله⁽¹⁾:

تضييق بي الدنا في ضيق أمري وحولي الكون متسع رحيب
التكرار:

هو الإلحاح على معنى يراد توضيحه وإبرازه، "وكرر الشيء أعاده مرة بعد مرة، وكررت عليه الحديث إذا رددته عليه"⁽²⁾.

ومما يدل على شرف منزلته، أنه من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في غير موضع، قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿كَأَسَافَ تَعْلَمُونَ * تَمَّ كَأَسَافَ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾، ومن فوائده الزيادة في كل شيء كالزيادة في إظهار التشويق أو التحسر أو التنبيه أو التهويل.

وللتكرار في الشعر فوائد معنوية؛ "إذ أن إعادة ألفاظ بعينها في بنية القصيدة، يدل على أهمية ما تتضمنه تلك الألفاظ من دلالات"⁽⁵⁾.

وللتكرار أيضاً أهمية موسيقية في الشعر، "وكيف لا يكون هكذا؟ والقصيدة قائمة في الأصل على تكرار تفعيلية واحدة من بدايتها وحتى النهاية"⁽⁶⁾.

والتكرار من الأساليب التي اعتمد عليها الشعراء في الشعر الذي يمثل المرأة في حرب الفرقان؛ وذلك لما كانت عليه الحرب من زيادة في الإرهاب وزيادة في الدماء مما لا تطيقه النفس

(1) ديوان الفرقان ، قصيدة: للقاصيات ذيب، عبد الرحمن أقرع، ص54.

(2) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ط/2: 14 ربيع ثاني، 1414هـ، بيروت، لبنان، ص410/وينظر: حاتم الصكر، كتابة الذات، دراسات في وقائعية الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 1994م، ص86.

(3) سورة القارعة، الآيات: 1-3.

(4) سورة التكاثر، الآيتان: 3-4.

(5) محمد أحمد ومولاي حفيظ بابوي وبشرى عليطي، البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط/1: 1998م، ص56.

(6) فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 2004، ص30.

البشرية نجده من ذلك ما في تكرار حرف الجر (اللام) وهو حرف انفجاري مجهور للدلالة على زيادة الغضب، إذ يقول الشاعر⁽¹⁾:

قسماً لمسرى (أحمد) يا قدسنا قسماً لأرضٍ تستغيث وتجارُ
للميت المذبح يسلخ جلده للعين تفقأ بالعظام تكسُرُ
للشيخ يسحل في الشوارع ضارعاً لدم الصبايا صارخا يتفجرُ
ومنه تكرار الحرف "رُبَّ" في قول الشاعر⁽²⁾:

تَعْلَمُ فَرُبَّ غَدٍ جَاءَ أَظْلَمُ

تَعْلَمُ فَرُبَّ غَدٍ كَانَ عَلَقَمُ

وَرُبَّ صَدِيقٍ يَصِيرُ عَدُوًّا

وَرُبَّ أَخٍ فِي حِصَارِكَ أَحْكَمُ

فتكرار الشاعر حرف "رُبَّ" يدل على حيرته، وهو بتكراره يفتح باب الاحتمالات واسعاً لتكثيف الدلالات التي لا يستطيع البوح بها لكثرتها.

أما تكرار (الاسم) فقد تكررت كلمة (عذراً) لإظهار الزيادة في الأسف والعجز عن مساعدة أهل غزة ونساءها لإظهار الألم الممزوج بالحسرة تقول الشاعرة⁽³⁾:

عِذْرًا دَلَالٍ إِنْ فَقَدْتَ الْأَهْلَ وَالِدَ أَرِ الْجَمِيلَةَ أَوْ غَدَوْتِي كَالشَّرِيدِ

عِذْرًا لِكُلِّ طِفْولَةٍ قَدْ غُدِّبَتْ أَوْ حَرَّةٍ قَتَلُوا لَهَا طِفْلاً وَحِيدُ

عِذْرًا فَقَدْ غَابَ النْفِيرُ وَعِزَّنَا طَلَبَ الْجِهَادِ أَوْ انْتَسَابَ لِلْأَسْوَدِ

تكرار الفعل:

ومنه ما جاء من تكرار الفعل الماضي المتصل بالضمير (ناديتها) أربع مرات في أربعة أبيات متتالية، والحديث عن غزة الفتاة الجريحة، أثناء الحرب وذلك لإظهار الزيادة في التحسر لما

(1) ديوان الفرقان، قصيدة (قسما)، للشاعر: صبحي ياسين، ص152.

(2) لأجلك غزة، للشاعر محمد عبدالمطلب جاد، ص467.

(3) السابق، قصيدة (آهات غزة)، شيماء الحداد، ص617.

يحدثه التكرار: من جرس؛ "إذ أن تكرر الفعل أو الحرف يترك إيقاعاً موسيقياً جميلاً، فضلاً عن تأثيره المضموني في نفس المتلقي، فاللغة طاقة تكمن فيها المشاعر والأفكار معاً"⁽¹⁾.

قال الشاعر⁽²⁾:

ناديتها والريخ تقصف زهرها وغصونها تحت العواصف تُسحقُ
ناديتها والجرح ينزف عزةً بدمٍ يسيل وعبرة تترقرقُ
ناديتها والحزن يغشى صفحتي وجواني بلظى الأسى تتحرقُ
ناديتها والوجد يملأ خافقي ودمي بحب حماتها يتدفقُ

يكرر الشاعر الفعل (تخجل) بصورته المستقبلية أو الحاضرة ثلاث مرات في مساحة شعرية لا تتجاوز ثلاثة أبيات شعرية، وهذا التكرار المكثف لدال بعينة (تخجل) مقصود بإظهار الزيادة في التوبيخ للسكريت العربية تجاه الإبادة والقتل المتكرر التي يواجهها أصحاب الأرض الأصليين من الأعداء، حيث امتهان كرامة المرأة والتناول على عرضها، يقول⁽³⁾:

ألا تخجل! و أرضك في يديهم يدوس عفافها أحفادها قرد
ألا تخجل! وأنت ترى يديهم على خد النساء وكل خد
ألا تخجل! وعرضك بات وقفاً ومرهوناً على غضبٍ بجد

تكرار الجملة:

وقد تكرر السطر الشعري وذلك للتركيز على المعنى، وتحقيق ترابط بين الفكرة وباقي النص الشعري وكذا ترابط نفسي لدي القارئ بالموضوع المطروح، وأهمية المكرر حيث غزة تحترق بيد العدو كالنساء و الأرامل، يقول الشاعر⁽⁴⁾:

النار تحرقهم هناك

النار تحرقهم هناك

(1) محمود درابسة، تشكيل المعنى الشعري، قراءة نقدية في الشعر العربي، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ط/1: 1431هـ - 2010م، دار جرير للنشر والتوزيع، ص27.

(2) لأجلك غزة، القصيدة: بدون عنوان، تامر أحمد زكارنة، ص95.

(3) السابق، قصيدة: متى تغضب؟، لواسع السقاف، ص332.

(4) ديوان الفرقان، قصيدة: احترق غزة، حسين مذكور، ص408.

النار تحرقهم هناك

آه وآه ألف آه

غزة احترقي

.....

كالنساء

تيتمي.. كوني الأرامل

في البيوت

إن التكرار هنا ليس من قبيل التنغيم الموسيقي المحض، بل جاء نابضاً بإحساس الشاعر وعواطفه يريد أن يؤكد احتراق غزة، فارتفع صوته بما يبرهن على احتراق غزة، فكرر جملة "النار تحرقهم هناك" في ثلاثة أسطر شعرية متوالية، مضيفاً لها ملمحاً من ملامح الأدب والحسرة والتأوه. إن تكرار الجملة "النار تحرقهم هناك" لا يكتسب أهمية من القيمة العددية فحسب وإنما من ارتباطه بالحالة الشعورية المسيطرة على الصياغة أيضاً.

تكرار شطر من البيت وذلك للتركيز على الفكرة ولفت انتباه القارئ إلى المشهد الذي يُدمي قلب الشاعر، غزة فتاة تصرخ وهو يناشدها بأن تتوقف لأن أمر الأمة محيرٌ مريبٌ وهذا يجعلها أكثر حذراً وحيطة لما هو أت، وزيادة على ذلك قد كرر الشاعر الشطر الأول ثلاث مرات والبيت كاملاً مرتين، وفي ذات النص كرر الشاعر كلمة (بشراك) ثلاث مرات في قوله⁽¹⁾:

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| القوم قد سكرُوا وإن لم يسكروا | لا تصرخي شأن الحماة محيرٌ |
| بشراكِ إن المرثخين تذمروا | بشراكِ قد طارت قذائف شجبهم |
| وهناك من شاي التريث أكثرُوا | بشراكِ قد عقدوا لأجلك قمة |
| إنني لأوشك بالعروبة أكفرُ | لا تصرخي شأن الحماة محير |
| إلا صموئيل الذي يتمضر؟؟ | أبهؤلاء تراهنين وهل بهم |
| والفقعسي فذاك ما يكل عتُر! | العولميُّ الفذُّ: معد يكر بهم! |
| القوم قد سكرُوا إن لم يسكروا | لا تصرخي أمر الحماة محيرٌ |

(1) ديوان الفرقان ، قصيدة: غزة - حبيبي، قتلك جعني أعلن الطلاق من أمتي، محمد طالب الاسدي، ص133-

لقد أفاد التكرار هنا تعميق الإحساس بالألم الذي تتحمله غزة، الذي يقابله اليأس من صحوة العرب، ولتعميق معاني السخرية نرى الشاعر يكرر "بشارك" ويقرنها مرة بالسخرية من تبدل أحاسيس العرب، وأخرى بالسخرية من اجتماعات القمم العربية وما يتمخض عنها، وقد يأتي الشاعر بالتكرار، "على طريقة البناء الدائري، بأن يعتمد الشاعر على جملة أو شطر يكرر بعد كل مرحلة أو بداية المقاطع أو نهايتها"⁽¹⁾، كي تسير القصيدة على وتيرة واحدة من الإيقاع الذي يشد المتلقي ليعرف ما حدث في غزة من ضحايا ودمار، إذ يقول⁽²⁾:

غزة فتاة حاملة

.....

هيا أفيقي يا صبية وارفعي هذي الضفيرة

وكم الضحايا في القطاع!!!؟

يا حلمنا العربي

ارحل من دمي

ارحل من دمي

فالحلم ضاع

وكم الضحايا في القطاع!!!؟

وسفينة العرب التي

كنا انتظرناها هنا

قد مزقوا فيها الشراع

وكم الضحايا في القطاع!!!؟

(1) محمد اسماعيل عمار، صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1: 1424 هـ - 2003 م، ص 269.

(2) الفرقان، قصيدة: دمعة على رمال غزة، وليد دويكات، ص 411.

التناص:

إنه التلاحم والتشابك بين ما هو قديم والنص الحديث إذ يضيفي المبدع على نصه لمسات من موروث التراث، باستخدام شيفرات يفهمها المتلقي وبفكها وهذا يثري النص ويجعله أكثر حيوية والتصاقاً بما سلف، "والتناص أحد المصطلحات الحدائثة وهو سمة للمشهد الشعري المعاصر"⁽¹⁾.

ويحتاج هذا كله إلى إنسان واسع الأفق، عميق الفكر ذي حصيلة ثقافية مترامية الأطراف، و"قد يكون التناص قائماً على استخدام مفردات محددة تحيل القارئ إلى عصر معين وإلى حوادث ترتبط بها هاتيك المفردات"⁽²⁾. وللتناص دورٌ ليس بالهين في العمل الإبداعي ففيه "يغتني القديم بقراءة جديدة على ضوء المبدع ونظراته الساخرة المسلطة عليه، ويثري الجديد نفسه بأبعاد القديم التي يكسبها هذا المبدع"⁽³⁾.

وقد تعددت صور التناص وتنوعت أساليبه، فقد يثري المبدع فكرته فيتخذ من القرآن الكريم بحراً ينهل منه سواء قصصه أم ألفاظه أم شخصيات ذكرها، وقد يتجه الشخص إلى السيرة النبوية المشرفة والموروث الديني مستويحاً منهما ما يريد، وكذا الحال مع التاريخ وأحداثه وأبرز شخصيات تركت بصماتها فخلدت على مر العصور، "وقد يتحدث عن واقعة بعينها أو شخص أو شعر سابق في عصور الأدب العربي، فيوظف التراث في إطار الإسقاطات السياسية"⁽⁴⁾.

لقد زخرت الأشعار التي تتحدث عن المرأة في حرب غزة بالكثير من الشواهد التي استند فيها أصحابها على القرآن الكريم والموروث الثقافي والأدبي..

وظف بعض الشعراء أسماء سور من القرآن الكريم للتعبير عن الفكرة التي يريدون إبرازها، مثل السور التي تتحدث عن المعارك والحرب كما في قول الشاعر⁽⁵⁾:

(1) أ.د. نبيل أبو علي وآخرون، دراسات في أعمال الشاعر والروائي الفلسطيني عبد الكريم السبعوي، منشورات وزارة الثقافة، عمان ومنشورات مطابع الجراح، غزة، وقد نشر في جامعة الزقازيق، 2000م، ص258.

(2) إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط1/1: 1424هـ - 2003م، ص347.

(3) كاظم جهاد، أدونيس منتحلاً، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، مكتبة مدبولي، ط2/2: 1993م، ص39.

(4) عبد البديع عراق، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية شهرية، 153، ديسمبر: 2004م، ص613.

(5) ديوان الفرقان، قصيدة: شدي الحزان، فراس عمر حج محمد، ص91.

شدي الحزام فوعد الله مقتبل
فأل عمران يا أنفال موعدا
فالنذر يتلى أعيدي بعض آيات
يا نصر خندق يا نجوى القراءات
وكما يقول آخر⁽¹⁾:

حرقوا النساء من الدموع إلى الدعاء إلى السجود

حرقوا المساجد فاستحمت سورة الإخلاص بالرعد

المضرج بالشهادة والشهود

واتخذ آخر من أسماء سور القرآن الكريم عنواناً لقصيدته مثل (الفرقان وفتية الكهف) لبسام المناصرة، يقول فيها⁽²⁾:

مذاقُ الشمس يهـدينا السـبيلا تبـوح بهـ تباشـير المسـير
وتهـواه الحرائـرُ والحـياري وتمدخـله محاريـبُ العـصـور
.....

ولكن فتية كهف تسعى بفرقـان وعـدنان ونـور
وغزة من أوت أحقاب غيم تعد النصر من عرق الزهور

وعندما أراد الشاعر إبراز شدة الحرب وعنفا استقى فكرته من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَسْفَرًا * لَاتَّبِعِي وَآتَاكِ﴾⁽³⁾، حيث يقول⁽⁴⁾:

إنَّ الزلازل لا تبقي ولا تذر لكنـما يقتفي من غزة الأثر
من غزة البكر تلهو في أزقتها أصابع الريح في خطواتها الخطر
.....

غلال الورود في ضاحي منابتها قصفاً من الجو لا يبقي ولا يذر

(1) لأجلك غزة، قصيدة: إيفاعات الحرب، عصام ترشحاني، ص 347.

(2) بسام المناصرة، نفير الملائكة، أصدرها ونشرها: بسام المناصرة، ط/1: 2011م، غزة، فلسطين، ص 32، ص 37.

(3) سورة المدثر: الآيتان 27-28.

(4) لأجلك غزة، قصيدة ملحمة غزة، محمد بكر سلمى، ص 441، ص 442.

وهناك تناسق قرآني من قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاؤُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ

الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾.

نجد ذلك واضحا في قول الشاعر⁽²⁾:

لقد غيظ فجر واستوى الموت والدجي ولا عاصم من قبل أو بعد حاصره
لغزة أعطوا ما تيسر من دم فإن المنايا حول غزة وافرة

وأراد آخر أن يبرز ضعف اليهود وجبنهم وهذا ما دفعهم إلى قتل النساء والأطفال، مستوحيا

ذلك من قوله تعالى: ﴿لَا يَتَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽³⁾، إذ يقول الشاعر⁽⁴⁾:

القابعين وراء جدرِ حصونهم القاتلين طفولاً ونساءً
الساقطين دياناً وخلائفاً الشاربيين قذارة ودماءً

التائهين بكل أرض قد أبقى ربي لهم أن يمكثوا قد شاء

وتناسق قرآني آخر في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁽⁵⁾ التي تكررت إحدى وثلاثين

مرة في سورة الرحمن، يقول الشاعر عن مقتل النساء في غزة ودماء الشهداء⁽⁶⁾:

وإذا رباب إليك غزة تنحني وعيونها بدم الشهادة تكتب
فبأي آلاء الشهور سأكتب همًا يخالطه دمي يا زينب؟

(1) سورة هود: أية 44.

(2) لأجلك غزة، قصيدة: لغزة أقلام، محمد ابراهيم الحريري، ص 423.

(3) سورة الحشر: أية 14.

(4) لأجلك غزة، قصيدة: صمود غزة، سعد الغامدي، ص 213.

(5) سورة الرحمن: أية 13.

(6) ديوان الفرقان، قصيدة: من تحت أنقاض الكلام، محمد ابراهيم الحريري، ص 62.

إن صورة النساء وهن يزغردن للشهيد أيقظت حكامنا من سبات وهبت المشاعر الإنسانية من كل فج عميق تدعو غزة للصبر، واستقى الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (1). في قوله (2):

وظللت نساء لكل شهيد تزغرد حين يوسد قبرها
وأيقظت حكامنا من سبات طويل عساهم سيبدون أمرا
وهبت أناسي من كل فج عميق تنادي: أغزة صبرا
وتتاص قرآني من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَكُسْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (3)، ويبدو ذلك جليا في قول الشاعرة (4):

أماه قولها لهم

(لما هويت على ثراها، زغرد
الزيتون وانفجرت تراتيل السحاب)
هذا وجودي.. والصلاة
هذا التراب له الحياة..!!
نسكي له.. وله الممات
وبرغم موت الأمنيات

وفي ردود الأفعال إزاء موقف العرب من غزة وأهلها، وإظهار لسلح الشجب الذي يمتلكونه، نجد الشاعر هنا استلهم النص القرآني في قوله تعالى: ﴿مُهَاطِعِينَ مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدِيَهُمْ هَوَاءً﴾ (5)، بقوله (6):

(1) سورة الحج: آية 27.

(2) ديوان الفرقان، قصيدة: وتشرق غزة كالوردة، عمر طرافي البوسعادي، ص 137.

(3) سورة: الأنعام: آية 162.

(4) لأجلك غزة، رسالة من غزة، اهزار طباخ، ص 637.

(5) سورة إبراهيم: آية 43.

(6) ديوان الفرقان، دموع على ثرى غزة، محمد إسماعيل الرفاعي، ص 506.

فثلة من اليهود قد تأهبت

ودقت الطبول

تقدمت بجرأة لسيبها

وتلكم الكريمة الأصول قد تمنعت

.....

ويكفي أن خرجنا مهرعين

ناكسي الرؤوس مهطعين قانعين

بالشجب والإدانة الخؤون

وهذا آخر يصف العرب بأنهم (خشب) مستوحياً ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ

أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾⁽¹⁾. يقول الشاعر⁽²⁾:

يتكالبون فإن رأيت شخوصهم خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ بدون توسُّم

ولتصوير دور المرأة العظيم في حرب غزة يعود الشاعر إلى القصة القرآنية ليستحضر

مريم عليها السلام ونخلتها وقصة ولادتها مستوحياً ذلك من قوله تعالى: ﴿وَهَزِيْ اِيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ

مُسَاقِطٍ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾⁽³⁾. يقول الشاعر⁽⁴⁾:

هزي جزع النخلة مريم

لن يطول الانتظار

من رحلته عاد الوطن

والأرض تنفض عن جدائلها الغبار

واستحضر مريم عليه السلام من عمق التراث الإسلامي وما عرف عنها من صبر وجلد

وغباء، إنما يأتي من باب الحث على الصبر وعدم الجزع في مثل هذا المقام ويكاد يتطابق موقف

(1) سورة المنافقون: آية 4.

(2) ديوان الفرقان، قصيدة يا دار غزة، عبد الله الشريف، ص 298.

(3) سورة مريم: آية 25.

(4) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، قصيدة بيت حانون، ص 39.

السيدة مريم عليها السلام وصلابتها وشجاعتها مع موقف الشعب الفلسطيني المناهض لبطش الاحتلال فكلاهما رافض للواقع.

وقد تناص العديد من الشعراء مع قصة بلقيس التي تحدث عنها القرآن الكريم، واستوحوا منها أبياتاً مفعمة بالحماس وإذكاء روح الفكرة التي يطرقونها، وذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾⁽¹⁾، وهذا التناص القرآني نجده في قول الشاعرة⁽²⁾:

أنا المدعوة الخنساء في زمني

.....

بأرض سبأ

أشاد الله في التنزيل

بطيب الأرض والإنسان

ببلقيس التي حكمت

بحكم الشعب والشورى

وأجدادي بناء المجد

ومن التناص من الموروث الديني ما نراه من تناص الشاعر مع قصة سعد بن أبي وقاص وأبي محجن الثقفي عندما قيده في السلاسل، وذهب سعد بالجيش فتألم أبو محجن وأبى إلا الجهاد وبكى ففكت (سلمى) زوجة سعد قيوده فانطلق إلى المعركة يصول ويجول، قال الشاعر متحدثاً مع ابنته⁽³⁾:

بكائي يا ابنتي

أسفٌ لأنني لم أكن معهم

أنا سعدٌ وقعنا

ومليارٍ جميعهم

(1) سورة النمل: آية 24.

(2) ديوان الفرقان، قصيدة قسمي وعهدي، جميلة الرجوي، ص 380.

(3) السابق، قصيدة: دم الأحرار، عارف عاصي، ص 399.

أسود في قيودهم
قيود الذل قد أبكت
لدى سعد أبا محجن
ففكت سلم أغلاله
فصال وجال في الميدان
مزدانا بغزته وباع اليوم أثقاله
فهل في أمتي سلمى
لتكسر قيد أمتنا تحررها

من التناص أيضاً استدعاء شخصيات تاريخية كان لها بصمة في تاريخ الأمة وجهادها إذ أن عملية التناص تزيد بطبيعتها عن تكثيف الدلالة وتعميق التجربة، حيث تعمل على استحضار رزم دلالية في آن واحد، منها ما يتصل بالنص الغائب، ومنها ما يتعلق به من هوامش وإيحاءات دلالية ساهمت في إنتاجها الأجيال المتعاقبة عبر التاريخ، ومنها ما يحمله النص الحاضر من دلالات تفرزها بنية الخطاب، ويتمازج الداليتين التراثية والآنية تتسامى شعرية النص، يقول الشاعرة⁽¹⁾:

لعينيك غزة
آت
صلاح
وسعد
وزيد
وجند أسامة
سيأتون
لا تحزني يا حبيبة

(1) ديوان الفرقان، قصيدة: ألا ثم، هند سالم باخشوين، ص 420

وأكثر شخصية تم استدعاؤها (المعتصم) وذلك لمناسبة الحال في حرب غزة حيث مئات النساء يستغثن ويصرخن يومياً، ويشاهد العالم بأسره تلك الصرخات لكنها يا ترى هل تلقي نخوة المعتصم؟، يقول الشاعر⁽¹⁾:

لم تبيك في غزة العصماء أرملةً
أليس في أمي العصماء معتصمٌ
ولا تضرع طفل بين أحضانِ
أم ليس فينا فتى من آل مروانِ
ويقول آخر⁽²⁾:

في كل يوم تضام المسلمات فلا
يهب ينصفهن الضيم معتصم
ويقول آخر⁽³⁾:

صاحت صبية لبى جند معتصمٍ
بيض الحمائم رمز السلم قد خجلت
صاحت نساءً ولا أجناد معتصم
بيض الحمائم قد فرت من الحمم
ويقول آخر⁽⁴⁾:

نادت فلاحي أجاب نداءها
قد كان معتصمٌ يؤمل زحفكم
لو كان حياً لاستشاط به الدمُ
لكن معتصم الرشيد خذلتما
ويقول آخر⁽⁵⁾:

أمي بغزة قالت أين نختكم؟
صبرال (غزة) صيحات تمزقي
أين الرجال أما في الدار معتصمٌ؟
عند الحصار تساوي البخل والكرمُ
ولن يعود إذا لم ترتق الهممُ
وآخر يقول⁽⁶⁾:

الحلم عندك قد صيغت رومزه
هذي سبيتك العذراء ضارعةً
وكم تكرر في مأساتنا حلمُ
وأنت - إذ صيخ: واذلاه معتصمُ

(1) لأجلك غزة، قصيدة: نزيف من جراح غزة، محمد نادر فرج، ص494.

(2) السابق، قصيدة: من شقيط يا أهل غزة، أبو زياد الأنصاري، ص39.

(3) ديوان الفرقان، قصيدة: اهناً بنوم، أكرم صبحي خضر، ص300.

(4) السابق، قصيدة: بلغ الدم الزبي، هاشم صالح سلامة، ص281.

(5) السابق، قصيدة: غزة حدائق الوجع المذبوح، محمد علي الحايك، ص254.

(6) السابق، قصيدة: في موسم الصمت البذيء، عبد الله الرشيد، ص265.

وقد نظر الشعراء إلى الموروث الأدبي الشعري وما يحمله من دلالات، وحاولوا التناص معها واستلهاهم دلالاتها للبوح بما يعتمل في صدورهم جراء حرب غزة، وذلك ما نراه في قصيدة "يادار غزة" التي يتكئ الشاعر فيها على قول عنتره⁽¹⁾:

هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّم أم هل عرفت الدار بعد توهُم
ويقول فيها⁽²⁾:

إن كنت أزمعت المضي فذاك ما نرجوه في ليل بهيم مظلم
ما راعني إلا وغزة كلها وسط الدمار تسف نار المنشم
.....

وهناك غزة والردى أنشودة مدت يديها للكفاح الأعظم
والكل يلحق من دمائك نشوة لعق الذباب كشارب مترنم
تمسي وتصبح والجراح تلوكها وتبيت وهي تصول فوق الأدهم
وحشيشتي نار وغزة تمتطي صهو الجهاد بصارم متلثم
هل تخبرني دارها أني هنا بصمودها من كل عار أحتمي
.....

يدعون غزة والرماح كأنها شهب على هام الدخيل الأظلم
ومن القصائد التي تناص معها الشعراء إبان حرب غزة معلقة عمرو بن كلثوم التي يقول في مطلعها⁽³⁾:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا وصبي من خمور الأنذرينا
وفي التناص مع معاني هذه القصيدة التي تعج بمعاني العزة والكرامة، يحاول الشاعر طارق الساعي أن يثير النخوة ويلهب الحماس في قوله⁽⁴⁾:

أيا أرض غزة إزئرينا ولا تبقي اليهود الغاصبينا
وصبي من معاناة الثكالي براكيننا تبيد الظالمينا

(1) الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص110/وينظر: الحسين ابن أحمد الزوزوني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، ط/2: 19772م، ص191.

(2) ديوان الفرقان، قصيدة: يا دار غزة، عبد الله إسحق الشريف، ص296، ص297.

(3) ينظر الحسين بن أحمد الزوزوني، شرح المعلقات السبع، الناشر، ص165.

(4) لأجلك غزة، قصيدة: زئير غزة، طارق عبد الله الساعي، ص265، ص266.

بهذا الجيل يا حسناء جودي فهذا الجمع فخر العالمينا
غدا يأتيك بالإخبار عنهم بأنهم جيوش الفاتحينا
فغني بعدها طرياً وشدواً فقد صدقت فعل القائلينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخرُّ لله الجبابر ساجدينا

أما التناص مع بيت من قصيدة النابغة الذبياني، وهو قوله⁽¹⁾:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

فتمثله في قول الشاعرة⁽²⁾:

الله من هذا النصيف لقد سقط

أنا لم أرد إسقاطه

لكن كفي في الحديد ولا أرى غير اليباب

.....

حزني على خلخال رملة لن يجول

بلقيسُ أهدتنيه من سبأ ومأرب

قبل آلاف الفصول

وغداً ستسألني

فقل لي صاحبي ماذا أقول

سقط النصيف ولم أرد إسقاطه

أنا لم أرد إسقاطه

لكن كفي في الحديد

الله من هذا النصيف لقد سقط

إنها قصيدة غنية بالدلالات المستوحاة من قصيدة النابغة الذبياني، وقد برعت الشاعرة في إزاحة دلالات النص المستوحى حين جعلت القيد الذي في كفها سبباً لسقوط النصيف، وأكدت على

(1) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977م، بدون طبعة، ص93.

(2) ديوان الفرقان، قصيدة: بلاغ من امرأة عربية، روضة الحاج، ص498.

سقوط النصيف رغماً عنها من خلال تكرار العبارة -سقط النصيف.. لم أرد إسقاطه- لتفرغ ما في صدرها من أحاسيس القهر التي نتجت عن الممارسات الصهيونية والعدوان على غزة.

وقد لجأ الشعراء إلى الحكمة والمثل العربي حيث اتخذوا منه ركيزة لتوضيح فكرتهم وإبراز دور المرأة في الحرب على غزة ومنها ما استخدمه الشاعر عنواناً لقصيدته أيضاً مثل (للقاصيات ديب) وهو يشير إلى ما سيلحق باقي الأمة العربية لتقريطها في فلسطين وصمتها عن صرخات الثكالي في غزة، يقول الشاعر⁽¹⁾:

وأم تستغيث فمَن يلبّي ومَن نداء ثكلاننا يجيبُ
هي الحرب الضروس فلا تطيلوا الجدال فإن أمركم عجيبُ
فإن صُمّت عن الصرخات أذنٌ لكم فالقاصيات لهن ذيبُ

والمثل العربي: (بلغ السيل الزبي)⁽²⁾ استخدمه الشاعر ليبين ما آلت إليه حال الأمة نتيجة للأحقاد والفرقة وأنه بعد حرب غزة وصبر الأمهات فقد طفح الكيل كما يقولون؟، يقول الشاعر:⁽³⁾

وصبرُ أمِّك موصول بعزتها حتى تساوت مع الخنساء في الجلدِ
يا حسبها الله في ضميم تغالبه لم تحتمل مثلها أم ولم تلدِ
يا أمّتي بلغ السيل الزبي وطغى دوسي على جمرة الأحقاد واتحدي

والمثل العربي: (وعند جهينة الخبر اليقين)⁽⁴⁾ استحضره الشاعر متسائلاً عن نهاية المهزلة والاعتداءات الصهيونية يقول⁽⁵⁾:

أريد لغزة شعراً

يعيد البنين إلى أمهم والبنات

أريد جواباً، جهينة، يختتم الأسئلة

(1) ديوان الفرقان، قصيدة: للقاصيات ديب، عبد الرحمن أفرع، ص54.

(2) ينظر أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط/2: 1407هـ - 1987م، ج/1، ص158. وهي جمع زبية، وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده، يصرب بما جاوز الحد.

(3) ديوان الفرقان، قصيدة: يا شاهق العزم، يونس ناصر، ص121.

(4) أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ج/2، ص319.

(5) السابق، قصيدة: ديوان غزة من الفسфор إلى الزاجل، ص414.

ويختتم المهزلة

ووصلت درجة اليأس من الأمة العربية وحكامها ذروتها فاستغاث الشاعر ببيت الشعر

القائل:

أنت لو ناديت حياً لاستجاب
ولكن لا حياة لمن تنادي
وذلك بقوله⁽¹⁾:

وصوت الحق وضاح مبين
لمن لهم - إذا سمعوا - حياءً
(ولكن لا حياة لمن تنادي)
في حكامنا الأبرار أنتم
لأمتنا المعذبة الرجاء
وصهيون الرذيلة والمخازي
تعريد والسماء لهم وقاءً
فتفتك بالنساء وبالصبايا
وبالصابيان ما لهم غطاءً

(1) الفرقان، قصيدة: بغزة غزة الإسلام ترمي، حسن عزيز بوشو، ص44.

المبحث الثاني: الصورة الشعرية

الصورة الشعرية

الشعر عالم ساحر، مليء بالمعاني السامية ونتصفح عبره تاريخ الشعوب وأيامها، ونتذوق ما فيه من خيال يسلب العقول، "والشعر خاصته لا يلائمه إلا التصوير البياني، أي التعبير عن طريق الصورة"⁽¹⁾، وهي تجعل له طلاوة ورونقاً وتخرج ألفاظه من الجذب إلى الخصب، "فالصورة الفنية هي هذا الجانب من العالم الخالي من جفاف الواقع وصلابته وهموم الأرض ومشكلاتها"⁽²⁾.

فالصورة للشعر كالروح للجسد لا يمكن انتزاع أحدهما من الآخر إلا في حالة الموت الذي هو أفول نجم الشعر وخباء ضوئه، وهي "تجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكل حسي وأن الخيال عنصر هام من عناصر إنتاجها"⁽³⁾.

وهذا يعتمد على شاعر ذواقة لا يرى الأشياء كما هي، بل يراها كما يجب أن تكون، فهو "يعبر عن أفكاره تعبيراً متميزاً عن طريق ما يحدثه في هذه الأفكار من صياغة خاصة، تتجاوز مرتبة الإفهام إلى مرتبة التأثير"⁽⁴⁾.

وتتبلور لدى القارئ بعد أن ينعم النظر في الشعر رؤى جديدة تقوده إلى تبني أفكار عن قناعة، والذود عنها بكل ما أوتي من قوة، لذا "فإن تأثير الصورة يتعدى حدود هذه المتعة الشكلية، فيثير انفعالات المتلقي إثارة خاصة، تدفعه إلى موقف أو سلوك بعينه"⁽⁵⁾.

والصورة الفنية هي الدم الذي يسري في شرايين القصيدة فيجعلها متوردة الخدود تشع نضارة، و "تصبح القصيدة القائمة على هذه الصورة أشبه بالبرق الذي يضيء جوهر العالم ودخيلاه"⁽⁶⁾. وهي تجعل الذهن في شغل شاغل للسعي وراءها وتحليل جوانبها، فهو دائم اليقظة

(1) محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص38.

(2) صالح أبو أصعب، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ 1948، 1975، دراسة نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/1: 1979م، ص32.

(3) أ.د. نبيل أبو علي، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية، ص97.

(4) جابر عصفور، النقد الأدبي، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط/1: 1424هـ - 2003م، ص321.

(5) السابق، ص328.

(6) أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط/1: 1972م، ط/2: 1978م، ص154.

والانتباه، بالإضافة إلى الامتاع "وهي متعة ناتجة عن ذلك القدرة من المعاناة التي يعيشها المتلقي من أجل الوصول إلى جوهر الصورة والتحليق في عوالمها"⁽¹⁾.

والصورة الفنية ملازمة للشعر منذ وجوده إلا أنها تختلف باختلاف البيئة والشاعر نفسه، فيجب أن يجعل صورة جديدة أولاً ناقلة للتأثير، مترابطة في مجموعها"⁽²⁾.

إن الصورة الفنية تعتمد اعتماداً مباشراً على التجربة الشعرية التي يعيشها الشاعر، "ويمكن بلورة مفهوم الصورة الفنية الشعرية من خلال القول إنها جزء مهم من التجربة الشعرية، وتجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكلٍ حسي"⁽³⁾.

والصورة تغدو أكثر بهاء وتأثيراً في النفوس إن صاحبها عاطفة صادقة فما خرج من القلب يصل إلى القلب وما خرج من اللسان لا يتعدى الأذان فالعاطفة "هي مصدر خصب للخيال والإبداع الشعري وتشكل ألواناً ضرورية للصور المنتزعة من الواقع الذي يعيشه الشاعر وتلعب دوراً مهماً في نجاح الشاعر أو فشله"⁽⁴⁾.

وبناء الصورة الشعرية يعتمد على طرق شتى منها "التجسيد وهو إعطاء المعنويات صفات محسوسة، والتشخيص الذي يتم بإعطاء صفات الأشخاص لكل من المحسوسات، والتجريد ويتم بإضفاء صفات معنوية على المحسوسات فتزول الفوارق بينهما"⁽⁵⁾.

فيجب أن تكون الصورة الفنية طبيعية غير متكلفة أو مصطنعة يجهد الشاعر نفسه في إقامها في شعره فتؤثر فيه سلباً لا إيجاباً.

وتنقسم الصورة الفنية إلى قسمين، صورة جزئية وصورة كلية.

(1) عاطف أبو حمادة، الصورة الفنية في شعر محمود درويش، دراسة نقدية، إصدار الاتحاد العام للمراكز الثقافية، غزة، 1998م، دون طبعة، ص172.

(2) إحسان عباس، فن الشعر، دار صامد، بيروت، ودار الشرق، عمان، ط/1: 1996م، ص195.

(3) ناهض محسن، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، ط/1: 1429هـ - 2008م، ص363.

(4) محمد عبد الله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918م إلى 1968م، منشورات دار الآفاق الجديدة.

(5) أسامة يوسف شهاب، الحركة الشعرية النسوية في فلسطين والأردن، 1948-1988م، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط/1: 2000م، ص325.

الصورة الجزئية:

وهي ما يندرج تحته التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك من ضروب البيان، المتعددة وسأتناول التشبيه والاستعارة كمثلين على الصورة الجزئية.

أولاً: التشبيه:

التشبيه هو "عبارة عن العقد على أن أحد الشئيين يسد سد الآخر في حال أو عقد، هكذا عرفه الرُّماني وهذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره"⁽¹⁾. وقد عرفه السكاكي بقوله: "ولا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه واقتراً من آخر"⁽²⁾.

أما القزويني فقد عرفه بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا: ما لم يكن على وجه الاستعارة الحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا تجريد"⁽³⁾. وقد أفرغ له المبرد باباً كاملاً في كتابه الكامل في اللغة والأدب لعظم شأنه في البلاغة⁽⁴⁾. وتختلف التشبيهات باختلاف العصر والبيئة، "واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها، ومزّت به تجاربها وهم أهل وبر، صحنهم البوادي وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها"⁽⁵⁾.

(1) ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير، تحقيق: حنفي محمد شرف، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، د.ط: 1416هـ - 1995م، ص159.

(2) محمد بن علي السكاكي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط/2: 1411هـ - 1990م، ص183.

(3) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/4: 1395هـ - 1975م، ج/1، ص328.

(4) للاستزادة ينظر:

• عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، د.ط: 1401هـ - 1981م، ص70.

• علي بن ظافر الأزدي، غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق: محمد زغول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف بمصر، د.ط: 1983م، ص13.

• محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبة، ط/2: 1418هـ - 1997م، ص98.

(5) ابن طباطبا، عيار الشعر، ص23.

وللتشبيه فوائد بلاغية تخدم المعنى وتجلو الصورة، "فإنما تقصد به تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح أو ذم أو ترغيب أو ترهيب أو كبر أو صغر أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه"⁽¹⁾.

ومن قيمه البلاغية التي تجعله ركناً أساساً من أركان البلاغة؛ " لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويكسبها توكيداً وفضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً"⁽²⁾.

أما الخفاجي فقد بيّن حُسن التشبيه بقوله: "يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد"⁽³⁾.

وقد عكست التشبيهات صورة الحرب الضارية على غزة، ونقلت لنا الصورة المشرفة للمرأة في جراتها وشجاعتها وصبرها، وكذا وصفت لنا الأحداث الدامية، وبيّنت المواقف وردود الأفعال العربية والعالمية. فالموت في غزة يشبه القابلة العجوز التي تتردد على القوم من حين لآخر، وهو يجعل الموت للأشراف أمماً، وأما الضحايا فهم رماديون شعث يشبهون الأنقاض التي انهالت عليهم فتناولتهم الأيدي، فكأن السماء تحمل بالأيدي، فهي تشبه معراج طويل يلوذ إلى الله الكريم عز وجل، يقول الشاعر⁽⁴⁾:

| | |
|--|--|
| كَأَنَّ الْمَوْتَ قَابِلَةٌ عَجُوزٌ | تَزُورُ الْقَوْمَ مَنْ أَنْ لَانَ |
| نَمُوتُ فَيَكْثُرُ الْأَشْرَافُ فِينَا | وَتَخْتَلِطُ التَّعْزَايُ بِالتَّهْنَانِي |
| كَأَنَّ الْمَوْتَ لِلْأَشْرَافِ أُمَّ | مَشَبُهَةٌ الْقَسَاوَةِ بِالْحَنْنَانِ |
| لِذَلِكَ لَيْسَ يَذْكَرُ فِي الْمَرَاثِي | كَثِيرًا وَهُوَ يَذْكَرُ فِي الْأَغْنَانِي |
| سَنُغْلِبُ وَالَّذِي رَفَعَ الضَّحَايَا | مَنْ الْأَنْقَاضِ رَأْسًا لِلْجَنَّانِ |
| رَمَادِيُونَ كَالْأَنْقَاضِ شَعَثٌ | تَحْدُدُهُمْ خِيَاطُ الْأَرْجَانِ |

(1) يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط: 1400هـ - 1980م، ج/1، ص273.

(2) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط: 1431هـ - 2010م.

(3) محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1: 1402هـ - 1982م، ص246.

(4) لأجلك غزة، قصيدة: بيان عسكري (سنغلبهم)، تميم البرغوثي، ص98.

يد ليد تسلمهم فتبدو سماء الله تحملها ييدان
يد ليد كمعراج طويل إلى باب الكريم المستعان
وهذه الطفلة التي كانت تشبه القمر في جمالها وبراعتها قد أصبحت تشبه فارغ الغضا بعد
أن حولها العدو إلى جسد يابس بعد استشهادها، وإن ما حدث يشبه الزلزال الذي يجوب أرض غزة،
يقول الشاعر(1):

وظفلة كفلقة القمر أضنى عليها القاهر الشموس
فأصبحت كفراع الغضا أحالها الجحيم للبيوس
هناك زلزال يجوب الفضا يبحث عن صيد ليملاً الرموس
إن النساء في الأرض المحتلة يشبهن الندى والأنوار التي تشع على الدنيا، ومنهن يهب
الرجال الثوار يشبهون الأسود، وكذا الأطفال والنساء حم تشبه الإعصار في وجه العدو، يقول
الشاعر(2):

يا ماجدات القدس أنتن الندى منكن شعث في الدنا الأنوار
زار الأسود ألسنت تسمع صوتهم؟ منكن هب رجالنا الثوار
أطفالنا ونساؤنا ودمائنا حمم تثور كأنها الإعصار
وهذه العروس يوم زفافها مخضبة بالدماء التي تشبه الوشاح الأحمر وشاخ من الدماء،
وأهل غزة نذروا حياتهم للكفاح فهم يشبهون الرياح في ثورتهم التي يتصدون بها للعدو بكل خفة
ورضا نفس، وقد جعلهم الحصار شواظا ملتهبة، يشبهون الأشباح في وجه العدو، يقول الشاعر(3):

وعروس تُزف في موكب المجد عليها من الدماء وشاخ
نذروا للكفاح كل لياليهم وثاروا كما تثور الرياح
يتصدون للعدو خفافاً ويأعماقهم رضاً وارتياح
فإذا حوصروا استحالوا شواظا وتداعوا كأنهم أشباح

(1) لأجلك غزة، قصيدة: إلى متى؟، نعيم عودة، ص541.

(2) السابق، قصيدة: نصر غزة زغردي، محمد براح، ص440.

(3) ديوان الفرقان، قصيدة: هذه غزة، راشد الزبير السنوسي، ص98.

المرأة الفلسطينية ربّت أطفالها على نهج الإسلام الجهادي، فهم يشبهون الكهول وهم في أتون المعركة، لا يهابون الموت، قلب الأم يشبه السياج الواقي لأبنائها وهم يتحدون الإغصان فتراهم يشبهون البحر الهائج المائج، يقول الشاعر⁽¹⁾:

إذا ما الطفل في الهيجاء كهل فأخري يا عروبة بانتمائي
فلسطينية أمي وربّت

وبالإسلام قد شمخت وعلت

ومجد العرب للأبناء غدت

وللأعداء في الهيجا تحدت

وذا قلبي لأبنائي سياج وأنتم للعلائور وتاج
إذا الإغصان يأتيني تراهم كمثل البحر قد هاجوا وماجوا

إن غزة تشبه الورد في البستان، وهي تشبه الأم في حنوها على الشاعر محبوبها إذا أضنته الوحدة، يقول الشاعر⁽²⁾:

أنساها كيف وقد كبرت كالورد عبر البستان
تحنو كالأم عليّ متى ناقوس الوحدة أضناني

ومن جميل التشبيهات المتعلقة بالشهيد تشبيه رفاة الشهيد بالهدية التي تهدى لأمه، ويطلب منها أن تزغرد وتغني وتقول لمن حولها إن ولدها هو كالغد المشرق، وهو كالنبوءة التي تقذف العدو بالشرر، وهو مثل بقعة النور، وهو كالكعبة، وهو كسدرة المنتهى، وهو مثل جهنم يصلها العدو، وهو كطير الأبايل بحجارتها النارية، وهو كالغيمة التي تبعث الأمل في الغابات، وجذورها وهو كأكليل الغار العريق، تقول الشاعرة⁽³⁾:

أماه قد يُهدى إليك رفاتي

غنّي له

.....

(1) ديوان الفرقان ، قصيدة: دماء العزة في غزة، لطفي منصور، ص457.

(2) لأجلك غزة، قصيدة: رسالة حب إلى غزة، لطفي الياسيني، ص390.

(3) السابق، قصيدة: رسالة من غزة، هزار طباطبا، ص636.

قولي لهم

ولدي غدّ.. ونبوءة ترمي الشرز
ولدي هنالك بقعة للنور ينقشها القمر
ولدي هنالك كعبة للملتقى
تنمو عليها كرنفالات الحجر
ولدي هنالك سدرة المنتهى
والله يجدل غصنها بدم الدرر
ولدي هناك جهنم من نارها تصلى سقر
ولدي أباييل السما بأكفها جمر القدر
ولدي همي من غيمة الأمل الوريق
بجذوره تمتد غابات الحنين
منسوجة من غزة بعوالم من ياسمين
ولدي أكاليل من الغار العريق
فله المدى.. وله الطريق

ويهم الشاعر بحب غزة فيشبه حبها بنبع الحياة برغم خجله من دموع التكالى، ويشبه نفسه في حبه لها بأنه نشيد الشهيد، وهو كالأسير لا يعرف ماذا يقول لأن غزة مثل زهر الوجود، وغزة كالربيع الدائم، وهو يجهر بحبه هذا رغم أن غزة مثل الرموز المجهولة، يقول الشاعر⁽¹⁾:

| | |
|---------------------------|------------------------|
| فإن كان حبك نبع الحياة | فإني ودمع التكالى خجول |
| | |
| فوالله إنني نشيد الشهيد | وإنني أسير وماذا أقول؟ |
| أقول أحبك زهر الوجود | وأنت الربيع الذي سيطول |
| وما سحر حبي إذا كان جهراً | وأنت الرموز وحبر يجول |

(1) ديوان الفرقان، قصيدة: غزة البتول، محمد كمال السخيري، ص250.

وشاعر آخر يشبه دم الشهيد بالشهاب الذي ينير طريق الحرية والشهيد يشبه مصباح النور الذي لا ينطفئ ضوءه، وأم الشهيد راضية لأنها تعلم أن ابنها يرقى إلى جنات النعيم، يقول الشاعر⁽¹⁾:

دم الشهيد شهابٌ نستنير به مصباح نورٍ فما أوكى وما وجفا
أم الشهيد نراها جِدَّ راضيةً ما دام يرقى إلى الجنات معتكفا

ورغم أن المصائب لياليها مظلمة إلا أن الشاعر شبهها بالإشراق في عمره المظلم، وهذه الصورة تمثلها بصورة الفجر الذي يرسم بعد ظلام الليل فهو من التشبيه التمثيلي، ويعود الشاعر لفلسطين فيشبهها بالفجر وبالمقام الذي لا تزل فيه قدم، وهي الإرادة وهي السيف الذي يوحد الأمة، يقول الشاعر⁽²⁾:

أماه معتصمٌ قد مات من زمنٍ ولن يعود إذا لم ترتق الهمم
ليلُ الفجيرة إشراقٌ بأزمنتى كالفجر بعد ظلام الليل يرتسم
ويا فلسطين أنت الفجر رائعتي أنت المقام ما زلت به قدم
أنت الإرادة أنت السيف في وطني بك اتحدنا وبعده الله نعتصم

وصمود الثكلى على مصابهم يشبه النهر الذي يروي زروع الجهاد، الحجارة في قبضات الغزيين تشبه الخناجر والشموع، وهذا في قول الشاعر⁽³⁾:

من علم الثكلى بأن صمودها نهر يروي للجهاد زروعا
يا أهل غزة والزمان كتابه بكم يمدُّ إلى السماء فروعاً
من علم الأحجار في قبضاتكم أن تستحيل خناجراً وشموعاً
ثانياً: الاستعارة:

"هي فن من فنون البلاغة، مأخوذة من العارية أي النقل، وهي رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهماً من كنانته، رفعه وحوله منها إلى يده"⁽⁴⁾.

(1) ديوان الفرقان، قصيدة هذا فضاؤك، بشير ضيف الله، ص194.

(2) السابق، قصيدة: غزة وحدائق الوجع المذبوح، محمد علي الحايك، ص254.

(3) لأجلك غزة، قصيدة: يا أهل غزة، أحمد عثمان التويجري، ص47.

(4) عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص166.

ومن ذلك ما أورده عبد القاهر الجرجاني، "قمن ذلك قولهم: إن الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل"⁽¹⁾.

وقد شرفت الاستعارة وعلا شأنها لورودها في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَكَرَّمَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾⁽³⁾، "والاستعارة تشبيه خسر أحد ركنيه الرئيسيين (المشبه أو المشبه به) لعلة جمالية أو دلالية واحتفظ بإشارة تمنع إرادة المعنى الظاهر"⁽⁴⁾.

وهذا الخسران يجعلها تكسب دقة وبهاء، "وكلما ازداد التشبيه خفاء ازدادت حسناً ورشاقة" وكانت متضمنة للبلاغة مع الإيجاز وجودة النظم وحسن السياق"⁽⁵⁾.

والاستعارة هي المرآة التي تعكس نفسية الشاعر وخباياه لذا فإنها تتم عن شخصيته وفكره، إنها "وسيلة اكتشاف العالم الداخلي للشاعر بكل ما فيه من خصوصية وتفرد وتميز لا تستطيع اللغة العادية التجريدية أن تعبر عنه أو توصله إلى القارئ"⁽⁶⁾.

وذات المعنى عبر عنه محمد أبو موسى بقوله: "والاستعارة من الفنون التي تشف عن طبيعة الشاعر وحسه، وكيف تستحيل في وجدانه إلى حالة جديدة ليست هي الأحوال الأليفة التي تراها عيون الناس"⁽⁷⁾.

ولا تقتصر القيمة البلاغية للاستعارة على اللفظ فحسب بل إنها تثري المعنى، "فإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتأله إلا الظنون"⁽⁸⁾.

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه، محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، ط/3: د.ت، ص318.

(2) سورة الكهف، أية 99.

(3) سورة البقرة: أية 81 .

(4) عبد الإله الصائغ، الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط/1: 1999م، ص235.

(5) يحيى العلوي، الطراز، ص239.

(6) أحمد عبد السيد الصاوي، فن الاستعارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1979م، ص344.

(7) محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص115.

(8) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص33.

وقد تعددت صور الاستعارة فمنها المكنية والتصريحية والتمثيلية والترشيحية والتجريدية كل منها له خصائصه وميزاته.

وقد رأينا هذه الصور جميعاً في شعر حرب الفرقان، رأيناها متلاثلة تسكب من جمالها على المعاني إيضاحاً، ومن دقتها على الألفاظ سحراً وجمالاً، فمن باب الاستعارة نجد الحرب ناراً يوقد جمرها الشعب، والنسوة أسود تزر، وها هي المساجد والآذن والحجارة والمنابر كلها أشخاص أقسمت اليمين على الجهاد، وحذف المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه وهو القسم، إذ يقول الشاعر⁽¹⁾:

الشعب أوقد جمرها يا معشرُ والنسوة انطلقت أسوداً تزرُ
قد أقسم الشعب اليمين مجاهداً الله فوق الظالمين وأكبرُ
كل المساجد والمآذن أقسمت حتى الحجارة رددت والمنبرُ
وفي القصيدة أيضاً جعل الشاعر الثورة سيلاً جارفاً يجرف كيد المعتدين، وهذا من باب الاستعارة التصريحية، أما الأمل فقد جعله نباتاً ينبت ويزهر، وذلك في قوله⁽²⁾:

وسيجرف السيل العرمم كيدهم وسينبت الأمل الجميل ويزهرُ
الشاعر ينادي على غزة والعدو محيط بها ومطبق عليها كما الفتاة المحاصرة، وهذا من باب الاستعارة، وقد جعل الموت حيواناً مفترساً ينهش لحمها ويمزقه إرباً، أما الغدر فهو شخص يقذف بضغائنه السوداء في الصدور، فيحرقها، وصوت القنابل أشخاص تجيب وتصرخ، وتقول: إن الأسى كاد ينطق من شدة الأهوال في غزة وكل هذا من باب الاستعارة، في قول الشاعر⁽³⁾:

ناديتُ غزة والعدو يلقُها والموتُ ينهشُ لحمها ويمزقُ
والغدر يقذفها بكل ضغينةٍ سوداء تنخر في الصدور وتحرقُ
فأجابني صوت القنابل صارخاً كاد الأسى بربوع غزة ينطقُ
ومن الاستعارات المتتابعة جعل غزة امرأة تتحدى وتهز عروش الخنوع، أما روحها فهي أيضاً تتصدى للعدو، والاستعارة في الخوف الذي تقوم غزة بدفنه وهي تتلو آية الصبر، يقول الشاعر⁽⁴⁾:

(1) ديوان الفرقان، قصيدة: قسماً، صبحي ياسين، ص152.

(2) السياق، ص 152.

(3) لأجلك غزة، قصيدة: بدون عنوان، تامر أحمد زكارنة، ص95.

(4) السابق، قصيدة: أنشودة غزة، بسام دعيس أبو شرخ، ص94.

فإن لغزة روحاً تصدّت

تحدّت

وهزت عروش الخنوع

ولم تكثرث للدمار

وها هي غزة

غزة

قد دفنت خوفها

وتلت

آية الصبر

أما الشاعر أحمد اليوسف فيجعل القصف إنساناً ينشر الموت المحموم في الأحياء في غزة، ويجعل الدماء ماءً يغلي لمنظر الطفل الذي يصيح من الآلام وكذا صراخ الثكلى على أطفالها الممزقين تحت الأنقاض وبين الركام، والاستعارة أيضاً في جعل النيران في غزة أشخاصا تشكي من نيران الشعب المتقدة، يقول (1):

فالقصف ينشر موته المحموم في
يا غزة الشماء إن دماءنا
أحيائها بزؤامه وحمامه
ولصرخة الثكلى على أطفالها
تغلي لطفل ضجّ من آلامه
فالشعب نازّ لو أتى نيران غز
يقضون تحت الهدم بين ركامه
ة لاشتكت من وقده وضرامه

وقد عبر شاعر آخر بالاستعارة في قوله (الذنب مزقني) عن مدى تأنيب الضمير الذي يعانیه لما يحدث في غزة واعتذاره عن التخلف عن النجدة، لكن غزة ضربت أعظم مثال في العز والصمود، والاستعارة أيضاً في قوله (قلب ماج) فقد شبه القلب بالبحر المائج المضطرب وحذف المشبه به وهذا من باب الاستعارة المكنية إذ يقول:

يا غزة الخير: جئت اليوم معتذراً
أتيت أركض نحو الباب في شغف
والذنب مزقني يا روحنا إربا
تحت الجوانح قلباً ماج مضطربا
وفي الصمود بلغت الأوج والسحبا
يا مَنْ ضربت لنا في العز أمثلة

(1) ديوان الفرقان، قصيدة: جرح العروبة نازف، أحمد اليوسف، ص284.

وشاعر آخر يستثمر الاستعارة وهو يصور غزة حينما تواجه العدو بكل شراسة وترميها (بسهم تقواها)، إذ يجعل التقوى سهماً نافذاً ترمي به غزة العدو فيعود أدراجه لما رآه من العزم، والاستعارة أيضاً في (تخفي له أنياب ضرغامها) إذ شبه تصدي المجاهدين بالأسد الذي لا يدري العدو حدة أنيابه وفنكها. واستعارة الثالثة في وصف الحرب في لفظة (زمرت)، وكذا الحرب تسخر من أفعال أقرامها وهو العدو الجبان فهو قزم في أفعاله وخنوعه وقلة حيلته، يقول الشاعر⁽¹⁾:

لَمَّا رَأَى غَزَةَ تَرْمِي لَه بِسَهْمٍ تَقَوَاهَا وَصَمَّصَ أَمَامَهَا
عَادَ إِلَى أَدْرَاجِهِ خَائِفًا مِمَّا رَأَى مِنْ عَزْمِ صُؤَامِهَا
يَا وَيْلَهُ مَا كَانَ يَدْرِي بِمَا تَخْفِي لَه أَنْيَابَ ضَرْغَامِهَا
كَذَلِكَ الْحَرْبُ إِذَا زَمَجْرَتْ تَسْخَرُ مِنْ أَفْعَالِ أَقْرَامِهَا

وفي رسم الملحمة البطولية لغزة وأهلها ويجعل الشاعر غزة مجد العروبة القادم ونذها المنتهي، بسبب فرسانها الصيد وقلبها الشجاع، فقد زخرت الأبيات بالاستعارات مثل: (تعطري بدماء فرسان الحمى) فقد جعل دم الشهداء عطراً تتعطر به غزة لتتطهر من رجس الاحتلال، وكذا قوله (يرجع المجد) فالمجد شخص يعود للأمة، أما قوله (رضعوا الفدا) فقد جعل الفداء حليباً يرضع من قلب غزة الشجاع، وكذا الاستعارة في (كأس الصبر) فجعل الصبر مشروباً في كأس يعطي النشوة والعزم، يقول الشاعر⁽²⁾:

بِكَ يَرْجِعُ الْمَجْدُ الْقَدِيمَ فَيَنْتَهِي نَزْلُ الْعُرُوبَةِ فَاصْبِرِي وَاسْتَبْشِرِي
فِرْسَانِكَ الصَّيْدَ الْأَلِيَّ رَضَعُوا الْفِدَا مِنْ قَلْبِكَ النَّهْرَ الشَّجَاعَ الْقَسُورِ
يَسْقُونَ كَأْسَ الصَّبْرِ طَوَّلَ صَمُودَهُمْ فَيَعُودُ مَمْتَشِياً بِعَزْمٍ مَسْكُرِ

ومن الشعراء مَنْ استثمر الاستعارة في جعل غزة طائراً جارحاً له مخالف (مخالب غزة)، والاستعارة أيضاً في (أدمت أقدام الدبابة) إذ جعل الدبابة حيواناً أدمت غزة أقدامه، والاستعارة في (واقتلعت من وجه الممسوخ عيونه)، وكذا في قوله (جاءت الشمس) إذ جعل الشمس فتاة تسأل عن الجراحات وتواسي غزة ليعود إليها عزمها وقوتها، يقول الشاعر⁽³⁾:

غَزَّةٌ صَارَتْ مَضْرِبَ مِثْلِ

مَخَالِبِ غَزَّةٍ أَدَمَتْ أَقْدَامَ الدَّبَابَةِ

(1) موقع أوفاز الأدبي، قصيدة على قمم النصر، www.afaz.com، عبد الرحمن العشماوي.

(2) الفرقان: قصيدة: يا غزة الأحرار هاك تعطري، صالح أحمد، ص 161.

(3) عبد الفتاح أبو زائدة، دموع بلا عيون، قصيدة: النبع، ص 45.

واقترنت من وجه الممسوخ عيونهُ

جاءت الشمس تسأل عن جراحاتي

قالت ستشفى أيها الجرح

ويرجع مرة أخرى

إليك العزم والقوة

الصورة الكلية:

إن القالب الشعري بما فيه من لفظ وخيال وتجربة وصورة وعاطفة يخرج القصيدة ببهائها ورونقها في ألق ونضارة، كل هذا متأزر مع بعضه البعض، "وعلى هذا الأساس فالقصيدة ربما تكون مكونة من مقطوعات وكل مقطوعة تمثل صورة جزئية، وبالتالي مجموع هذه المقطوعات أو الجزئيات يمثل الصورة الكلية"⁽¹⁾.

وقد تكون الصورة الكلية في القصيدة على شكل أسلوب قصصي أو حوارى بشخصياته وأحداثه، "ولعل أهم ما تتميز به الصورة التي في هذا النوع من القصائد هو أنها تكون صوراً ممتدة ومتلاحقة يتولد بعضها من بعض"⁽²⁾.

وتتميز الصورة الكلية باكتمال أجزائها بحيث يتمتع القارئ بألوانها الزاهية وحركتها المتتابعة وأصواتها التي يتردد صداها في الأذان "فتلمع الصورة وتسطع في الوجدان، ويتم من خلالها استنطاق الجماد، وتحويل القبح إلى جمال على أن تكون الصورة مترابطة متصلة ببعضها البعض لإظهار العمل الفني فيه مكتملاً وهو الصورة الكلية"⁽³⁾.

ومن البدهي أن تختلف الصورة من شخص لآخر وذلك لأنها تعتمد على نفسية الشاعر والحالة التي يمر فيها "ولهذا فإن جميع الصور لا تسير في مستوى واحد ولكنها تصب في خانة الإبداع"⁽⁴⁾.

(1) يحيى الأغا، الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، دار الحكمة للنشر، غزة، ط/1: 1418هـ - 1998م، ص150.

(2) عاطف أبو حمادة، الصورة الفنية في شعر محمود درويش، ص185.

(3) يحيى الأغا، الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، ص118.

(4) السابق، ص117.

ومن الصور الكلية ما يتكون نتيجة تكرار الصور الجزئية من تشبيه واستعارة وكناية، وتآلفها وامتدادها في جسد القصيدة حتى نهايتها، فتتغلغل كما العروق التي ينساب فيها الدم باثًا الحياة والحيوية والنشاط خلالها.

ومن الصور الكلية التي وردت في شعر حرب الفرقان وما يخص المرأة فيه ما نجده في قصيدة (غزة حورية الأرض) فهي تحكي قصة الحرب على غزة، وقد صورها الشاعر بأنها فتاة حسناء نائمة، طاهرة لكنها استفاقت على بحر من الدماء.

وقد استخدم الصور الجزئية مثل: نامت الحسناء، وجر من دموع ودماء، و فاح الشهداء، والصبح آت، والتضاد بين نامت واستفاقت وبيع وشراء، والمقابلة وحسن التقسيم في إن للموت ابتداء ليس للخلد انتهاء، وأما الموسيقى الداخلية من تناسق الألفاظ ودقتها وما جاء من جناس بين (دموع ودماء) والروح والأرواح، وبين يهمني وهم، وبين شاعوا و شاء، والموسيقى الخارجية فالبحر واحد، واستخدام القافية الموحدة للقصيدة وهي الهمزة المسبوقة بمد الألف وهي ساكنة توحى بسكون الحال وجمود الاحتلال وجثومه على فلسطين، ونجد اللون في الأحمر والأخضر، وكذا الرائحة في رائحة العطر ورائحة الشهداء الزكية وما ينطلق من رائحة احتراق الجثث في كلمة (شواء)، أما الصوت والحركة فنجدها في القصف وحركة البيع والشراء وحركة حفر الخندق وأصواتهم أثناء ذلك، يقول الشاعر⁽¹⁾:

| | |
|---------------------|------------------|
| نامت الحسناء غرثي | من لحوم الأبرياء |
| واسـتفاقت فوق بحرٍ | من دموعٍ ودماء |
| وإذا بـالروح والأر | واح حلت بالفناء |
| قصفت قارورة العـط | ر ففاح الشهداء |
| فضـعي الأحمر والأخ | ضر وامشي في بهاء |
| | |
| احزمي خصرك وامضي | لا تعودي للـوراء |
| خلفك السمسمار مشغـو | لٌ ببيعٍ و شـراء |
| خلفك الخندق محفو | رٌ بأيدي الحكماء |
| دمعهم يهمني وهم من | قـدموك للشـواء |
| غير أن الصبح آتٍ | دون شك أو مـراء |

(1) ديوان الفرقان، حسن يوسف كمال، ص34-35.

ليس إن شـاؤوا فإن الله رب البيت شـاء
كلمات شـهيداً عاد حياً في المساء
صائحا فينا: فلانا مت أعين الجبنا
إن للموت ابتداءً ليس للخلد انتهاءً

أما في اللوحة الفنية الشعرية (هي غزة هي صفة كبرى لنا) وتحكي حال غزة وما آلت إليه من جوع وعري، وحال العرب من شبع وبذخ وترف في المقابل صورة الصمود لأهل غزة والمجد والعلو، نجد ذلك كله من خلال الصورة الجزئية التي أنتجت التشبيهات والاستعارات والكناية، فمثلاً كتشبيه الولايم بجمال أطلس، وعن غزة (هي عرينا)، و(إنك نجمة)، و(هم كالليل)، وأما الاستعارة في قوله (جاعت) وكذا (الجوع ينهش لحمها) و (البحر يسجد) و (جناح عرك) و (المجد يحتمي)، أما الكناية عن الصمود في قوله (جمال غزة لا تتال بأسهم) وكناية عن المجد والعلو: منك النخيل تعلمت قاماته، بالإضافة إلى الصوت والحركة في صفة كبرى (اللحم ينهش) و سهام ترشق، و (يسجد للجبين)، (يفيض كما السيول)، واللون في جمال أطلس و الآهة الحمراء، وبريق النجوم وسواد الليل وظلامه والبحر بلونه الأزرق الخلاب والنخيل بخضرته ونضارته، يقول الشاعر⁽¹⁾:

هي غزة، هي صفة كبرى لنا هي عرينا المفضوح دون تحشم
جاعت وجاعت والولايم عندنا كجمال أطلس مع شراب عائم
والجوع ينهش لحمها بضراوة واللحم ينهش عندنا بولايم
بذخ يفيض كما السيول بعيشنا وهم السيول دموعهم في مائم
.....
والآهة الحمراء تشعل أضاعي لما مصابك يستفيض على فمي
إن جوعوك فذاك أنك نجمة عليت، وهم الليل حولك مظلم
هذي سهام الحقد ترشق غزة وجمال غزة لا تتال بأسهم
كم مجرم قد جاءها لكنها تبقى العصية ضد أعتى مجرم
أ أميرة البحر العريق تحية البحر يسجد للجبين القائم
منك النخيل تعلمت قاماته والمجد تحت جناح عرك يحتمي

ولوحة فنية أخرى تتألق صورها الجزئية وتتكامل بألوانها وأصواتها وما فيها من حركة، قصيدة (وتشرق غزة كالوردة) إنها غزة الحساء تشرق كالوردة، لها ظل جميل يتقاطر عطرًا، والنور

(1) ديوان الفرقان، مرتضى شرارة، ص303.

يداعبها وهي تختال فخرًا بهذا النصر الذي تقهقر له الجيش ذو الخرافة التي يدعيها بأنه لا يقهر،
وها نحن نسمع شدو الطيور بألحانها العذبة رغم ما خلفه العدو من دماء روت التراب كالبحر، ولا
تنسى صورة النساء يزغردن لكل شهيد توسد في قبره قرير العين، في المقابل نرى غزة توظف حكامنا
العرب وهم يغطون في سباتهم الطويل فماذا يا ترى لديهم؟، يقول الشاعر⁽¹⁾:

وتشرق غزة كالوردة فجرا
يداعبها النور ملء الجفون
شدتها الطيور بأعذب لحن
أغزة أي انتصار جليل
هزمت الحشود التي أظهرت
وحطمت أسطورة دبجتها
رأت أعين العالمين صموداً
دمار تغلغل في كل ثرب
وما هد عزم الاشواوس موت
ولكن ما اختير فصل الخطاب
وظألت نساء لكل شهيد
وأيقظت حكامنا من سبات

بطل جميل تقاطر عطرا
تمايس بالعز يختال فخرا
يغرد نصراً يأوح بشرا
تلا لأمن وجهك اليوم ذرا
قوى لا تضاهي زهاء وبطرا
خرافات صهيون للناس قهرا
يجر الخيال إلى العقل جراً
سقته الدماء من الحرب بحرا
لألفية من ليوثك جزرا
لدى الحسينين يؤرخ دهرا
تزغرد حين يوسد قبراً
طويل عساهم سيبدون أمرا

(1) ديوان الفرقان، عمر طرافي البوسعادي، ص137.

الخاتمة:

بفضل الله ومَنَّهُ، فقد أنهت الباحثة هذه الدراسة عن صورة المرأة في شعر حرب غزة 2008/2009 وقد اشتملت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول، تناولت فيها الباحثة الصور المشرقة للمرأة الفلسطينية خلال الحرب وقد توصلت إلى النتائج التالية:

- الفترة الزمنية للحرب قصيرة في عداد الزمن (23 يوماً) إلا أن نجم المرأة الفلسطينية بزغ ساطعاً في سماء غزة فهي الأم، والزوجة، والأخت، والابنة.. الصابرة المحتسبة والمناضلة الثائرة والمكرومة.
- هب الشعراء مستكربين الحرب وبشاعتها وقد اختلفت جنسياتهم واتحدت رؤاهم لمكانة المرأة ودورها في حرب غزة، وإن كنا قد لاحظنا تعويلهم عليها في تحمل المصائب وتثوير الأبناء وإقالة العثرة، وبث روح الأمل والصمود.
- جاءت الأشعار مفعمة بالحماسة، فياضة بالحدق على العدو الصهيوني الذي قتل النساء ويتم الأطفال وهدم البيوت على رؤوس أهلها.
- لاحظت الباحثة شدة العتب على الأمة العربية لتخاذلها لما حدث في غزة، وخاصة الشعراء العرب الذين عبروا عن مواقفهم من الزعماء العرب، وتعاطفهم مع الفلسطينيين.
- امتازت الأشعار التي تناولتها بصدق العاطفة لأنها نابعة عن تجربة حقيقية عايشها الشعراء المسلمون فالموريتاني لا يختلف عن الحجازي أو الشامي في رصد الحدث والتأثر به.
- بشرت العديد من القصائد موضوع الدراسة بفجر الحرية العربية الذي سيبزغ من فلسطين كما ترون.
- أظهر البحث استهداف العدو المرأة الفلسطينية طفلة وفتاة وامرأة حامل وعجوز، وكأنه يؤكد على دورها في رقد المقاومة بالمقاتل المعد للصمود والشهادة في سبيل الله..
- أن المرأة الفلسطينية قادرة على الصمود ولم تسقط أبداً أمام حالات الاحباط بل تتماسك وتبدأ من جديد وأن ما ظهر من صور حزنها ومعاناتها كان للتأكيد على إنسانيتها وصلابة إيمانها بقضيتها.
- ستظل المرأة الفلسطينية رمزاً للوطن والأرض، رمزاً ملتحمًا بالعمل الشعري فنياً كل الالتحام، هذا ما رأيناه في ثنايا البحث.

ملخص الدراسة:

العنوان: "صورة المرأة في شعر حرب غزة 2008-2009م"

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: نبذة عن تاريخ فلسطين وقد تناولت الباحثة خلالها ملابسات حرب الفرقان وعرّجت على المرأة ونظرة المجتمع لها ودورها فيه.

الفصل الأول: المرأة المناضلة، تناولت الباحثة فيه دور المرأة في التعبئة والتثوير والصمود والمقاومة ومصابة وشهيدة.

الفصل الثاني: المرأة الثكلى، التي استشهد أحد أقاربها أو فقدت المأوى بنسف منزلها أو تجريف أرضها أو من حرمتها الاحتلال أحلامها وسعادتها.

الفصل الثالث: المرأة الرمز، وقد تناولت الباحثة فيه المرأة رمز التضحية والفداء، والمرأة رمز الأرض، والمرأة رمز السكن والطمأنينة.

الفصل الرابع: الدراسة الفنية، تناولت فيها الباحثة بعض الظواهر اللغوية والصورة الشعرية التي برزت في شعر حرب غزة 2008-2009.

الخاتمة: وقد رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. إحسان عباس: إبراهيم طوقان (الأعمال الشعرية الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية: 1993م.
2. أسامة جمعة الأشقر: ديوان الفرقان، الطبعة الأولى، دمشق، 2009م.
3. بسام المناصرة: نفير الملائكة، أصدرها ونشرها: بسام المناصرة، الطبعة الأولى، غزة، فلسطين، 2011م.
4. الحسين بن أحمد الزوزوني: شرح المعلمات السبع، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، ط/2: 1972م.
5. حلمي الزواتي: ترفض السرج الجياد، الطبعة الأولى، مؤسسة السنابل الثقافية، 1982م.
6. حلمي الزواتي: عبير الدماء، مكتبة الخلود الكبرى، الطبعة الأولى: 1973م، الطبعة الثانية، 1976م.
7. حنان عواد: اخترت الخطر، إصدارات اتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، الطبعة الأولى، 1988م.
8. رحاب كنعان: شلال الفصول الثمانية، مطبعة الرسالة، غزة، الطبعة الأولى، 2007م.
9. زهير أبو قطام: الثلاثية الحمراء، نشر بدعم من أمانة عمان، بمطابع الخبرة، عمان، الأردن، 2004م.
10. سليم الزعنون: ديوان وهكذا نطق الحجر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن 2001م.
11. سليم الزعنون: ديوان يا أمة القدس، المؤسسة العربية للدراسات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1995.
12. سماح ضيف الله المزين: وطن تدفأ بالقصيد، الطبعة الأولى، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، فلسطين 2011م.
13. سميح القاسم: ديوان، د. ط، دار العودة، بيروت، 1987م.
14. صالح عمر فروانة: مفردات فلسطينية، إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2011، ج/2 (انتفاضة الأقصى).
15. صفاء زيتون: عصافير على أغصان القلب، الطبعة الأولى، دار الفتى العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985م.
16. صقر أبو عيدة: لمن يبكي (مجموعة شعرية)، الطبعة الأولى، دار البيضاء للنشر، غزة، فلسطين، 2010م.

17. عبد الكريم السبعراوي: ديوان: متى ترك القطا، (قصيدة لا وقت للحزن)، دار النورس للنشر، غزة، فلسطين، الطبعة الأولى: 1969م.
18. عبد الهادي القادور: وطن ينزف، الطبعة الأولى، منشورات مركز الرحمن الثقافي، مكتبة بلدية النصيرات، 2004م.
19. عمر أبو ريشة: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1996م.
20. عمر خليل عمر: مرتبة الشرف العربي، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطيني، الطبعة الأولى: أغسطس، فلسطين 2001م.
21. فايز أبو شمالة: رياحين بين مفاصل الصخر، سجن نفخة إصدار جمعة الأسرى والمحررين، 2001م.
22. فدوى طوقان: الديوان، دار العودة، بيروت، لبنان، 1988م.
23. مؤيد عثمان البحش: الخيول تموتن واقفة في ميادينها، اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، ديسمبر 1974م.
24. محمد صيام: ملحمة الانتفاضة، مركز الراية العربية للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: رمضان، 1990م.
25. محمود درويش: ديوان، دار العودة، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1996م.
26. معين بسيسو: قصائد مختارة، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، بدعم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-اليكسور، مطبعة المنار الحديثة، (د. ط)، (د. ت).
27. موسى إبراهيم أبو دقة: جمع واعد ديوان الشعراء العرب في معركة الفرقان 2009: "ديوان لأجلك غزة"، منشورات منتدى أمجاد الثقافي، غزة، فلسطين، الطبعة الأولى: 2009م.
28. النابغة الذبياني: ديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977م.
29. نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993م.
30. هارون هاشم رشيد: ثورة الحجارة، دار العهد الجديد للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 1988م.
31. هارون هاشم رشيد: وردة على جبين القدس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى: 1998م.
32. يحيى الدين الصفدي: من فلسطين وإليها، حلب، الطبعة الأولى: 1975م.

33. يوسف العظم: الأعمال الشعرية الكاملة، الطبعة الأولى، دار البيضاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2003م.

المراجع:

34. إبراهيم أبو جابر وآخرون: جرح النكبة، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، 2007م.
35. إبراهيم الحصر القيرواني: زهر الآداب وتمر الألباب، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1972، ج1.
36. إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 1993م.
37. إبراهيم محمد الجمل: حياة المرأة المسلمة (منهاج شامل لحياة النساء في الدنيا والآخرة) الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1997هـ.
38. ابن أبي الإصبع: تحرير التجير، تحقيق محمد شرف، وزارة الأوقاف المصرية، د. ط، القاهرة، 1995م.
39. ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبابة، القاهرة، 1992م.
40. ابن الهاشمي: تصدير محمد الغزالي، الداعية زينب الغزالي، مسيرة جهاد وحديث من الذكريات من خلال كتاباتها، دار الاعتصام، د.ط، القاهرة 1988م.
41. ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، 1998م.
42. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (202هـ-275هـ): سنن أبو داود، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1، 1988م.
43. الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية: صور من نضال المرأة الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1975م.
44. إحسان عباس: فن الشعر، دار صامد بيروت ودار الشرق، عمان ط/1: 1996م.
45. أحمد سيد محمد: دراسات في الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
46. أحمد عبد السيد الصاوي: فن الاستعارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة، 1979م.

47. لأحمد محمد الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط/2، 1987م.
48. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ربيع ثاني 1414هـ.
49. أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت الطبعة الأولى، 1972، الطبعة الثانية، 1978م.
50. أسامة محمد أبو نحل: تاريخ فلسطين القديم، الطبعة الثالثة، 2001م.
51. أسامة يوسف شهاب: الحركة النسوية في فلسطين، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط/1: 2000م.
52. أسماء محمد أحمد زيارة: دور المرأة السياسي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، دار السلم للطباعة، ط/1: 1412هـ - 2001م.
53. إسماعيل عبد اللطيف الأشقر ومؤمن محمد غازي بسيسو: المرأة الفلسطينية في دائرة الاستهداف الصهيوني، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2004م.
54. أكرم أبو سمرة: المرأة الفلسطينية، درس في الانتفاضة، الطبعة الأولى، مطبوعات الإعلام الموحد، تونس، 1989م.
55. إمام عبد الفتاح إمام: أسطورة والمرأة، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م.
56. إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م.
57. الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: ت 256هـ، صحيح البخاري، المفتي به أبو صهيب الكرمي، د.ط، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1998م.
58. أمين المبيض، جنين غراد: الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم، د.ط، مكتبة مدرسة الرفاعي، نيسان، 2002م.
59. أوراق عارف العارف: (المجموعة الثالثة) الدور التي هدفها الإسرائيليون، غزة نافذة على الجحيم، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية الدار العربية للموسوعات، د.ط بيروت، لبنان، 1973م.
60. أوراق عارف العارف: المجموعة الثانية، المعذبون في السجون الإسرائيلية من أبناء فلسطين 1967م - 1972م، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، د.ط، بيروت، لبنان، 1973م.
61. بثينة شعبان: المرأة العربية في القرن العشرين، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر، سوريا، دمشق، 2000م.

62. تقييم الأثر البيئي على قطاع غزة، 2008/12/27م - 2009/1/18م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، قسم الأرشيف والمعلومات، بيروت، لبنان 2009م.
63. التوثيق الإحصائي لجرائم الحرب الإسرائيلية خلال عدوانها على غزة، 2008-2009م.
64. جابر عصفور: النقد الأدبي، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2003م.
65. جهاد شعبان البطش: الاستيطان الصهيوني في قطاع غزة، الطبعة الأولى، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، 2003م.
66. جواد محمد ومجموعة من المؤلفين: المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، عمان الأردن، 1997م.
67. حاتم أبو زائدة: الحرب على غزة (2008/12/27م - 2009/1/18م)، كانون ثاني، 2010م.
68. حاتم الصكر: كتابة الذات، دراسات في وقائعية الشعر، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 1994م.
69. الحافظ بن حجر العسقلاني: فتح (الباري) بشرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000م.
70. حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، 1998م.
71. حسن عبد الرحمن سليم: الفصول اليناعة في أدب العصور المتتابعة، من بداية الحروب الصليبية حتى نهاية الدولة المملوكية، مطبوعات جامعة الولايات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2005م.
72. حسن محمد سلامة: (شوقي فلسطين) (أبو زهير حسن محمد عبد الرحمن محمد سلامة) الملقب بحسن أفندي، أعده وقدم له: يحي جبر، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر، 1999م.
73. حسني أدهم جرار: شاعرات معاصرات، الطبعة الأولى، مؤسسة الزيتونة للنشر، عمان، الأردن، 2001م.
74. حسني عبد الجليل يوسف: المرأة عند شعراء صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
75. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الرابعة، دار الكتاب اللبناني، 1975م.

76. خنساء دوعر: خنساء من فلسطين، الطبعة الأولى، الجزء الأول، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، 2008م.
77. دور المرأة في الانتفاضة، مطبوعات الإعلام الموحد، مطبعة تونس قرطاج، تونس، 1969م.
78. رابا لينا بونامكي: الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي، ترجمة: د. أحمد بكر، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1988م.
79. رجا سمرين: شعر المرأة العربية المعاصر (1945-1970م)، الطبعة الأولى، دار الحدائق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.
80. رجاء عيد: لغة الشعر، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985م.
81. رحاب كنعان: تل الزعتر (مملكة التنك وجمهورية الثوار)، الطبعة الأولى، المركز القومي للدراسات والتوثيق: غزة، 2001م.
82. رضوان دعبول: تراجم أعلام النساء، إعداد إدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1998م.
83. رواية البورنو: الحرب على غزة، الطبعة الأولى، دار فارس للنشر، عمان، 2009م.
84. رويدا عماد البريري: نساء في حياة الأنبياء والرسل، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 1991م.
85. زكي العيلة: المرأة في الرواية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، الطبعة الأولى، رام الله، فلسطين، 2003م.
86. سعاد الدعالسة وأخريات: أسلحة الاحتلال الإسرائيلي خلال العدوان على غزة (2008-2009م)، الطبعة الأولى، اللجنة المركزية للتوثيق "توثيق"، غزة، فلسطين، 2010م.
87. سلافة حجاوي: في التاريخ السياسي الفلسطيني، الطبعة الأولى، الناشر هو المؤلف، فلسطين، 2000م.
88. سلمى الخضراء الجيوسي: موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1997م.
89. سليم المبيض: غزة وقطاعها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1987م.
90. سهام عبد الوهاب الفريخ: المرأة العربية والإبداع الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2010م.
91. شاكر النابلسي: مجنون التراب، دراسة وشعر وفكر محمد درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م.

92. شريف كناعنة وعبد اللطيف البرغوثي: مناظرة فلسطين (سميحة خليل) جمعية الفاش الأسرة، د. ط، البيرة لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الفلسطيني، 1992.
93. الشنقيطي، أحمد بن الأمين: (اعتنى به وصححه)، شرح المعلمات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت) بيروت، لبنان.
94. صالح أبو إصبع: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة (منذ 1948م- 1975م دراسة نقدية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1979م.
95. صحيح البخاري: بعناية: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ.
96. الطبراني: المعجم الكبير، حققه: حمدي عبد الحميد السلفي، الطبعة الثانية، دار أحياء التراث العربي، 1984م.
97. عائشة عبد الرحمن: بنت الشاطئ، الطبعة الأولى، تراجم سيدات بنت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1998م.
98. عادل أبو عمشة: قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، 1987م.
99. عاطف أبو حمادة: الصورة الفنية، في شعر محمود درويش، الاتحاد العام للمراكز الثقافية، د. ط، غزة، 1998م.
100. عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط: أغسطس، القاهرة 2003م.
101. عبد الإله الصائغ: الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية، الطبعة الأولى، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت 1999م.
102. عبد الإله بلقزيز: هكذا تكلم محمود درويش، دراسات في ذكرى رحيله، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الوحدة، بيروت لبنان، نوفمبر، 2009م.
103. عبد البديع عراق: صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (كتابات نقدية شهرية) (153)، ديسمبر، عكا، فلسطين 2004م.
104. عبد الرحمن حوطش: شعر الثورة في الأدب العربي المعاصر، (د. ط)، (د. ت)، مكتبة المعارف للنشر، الرباط، رقم الايداع، 1987م.
105. عبد العزيز الشناوي: نساء الصحابة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة 1988م.
106. عبد العزيز عتيق: علم البيان، د. ط، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت 1974م.
107. عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية في بيروت، 1974م.

108. عبد الفتاح أبو زائدة: دموع بلا عيون، من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، 2010م.
109. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، د. ط، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان، 1981م.
110. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه: محمد ألتنجي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ت).
111. عبد القدوس أبو صالح ومحمد رجب البيومي: من شعر الجياد في العصر الحديث، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1985م.
112. عبد الله حوراني: لماذا نكتب ولمن؟ (رؤية للوضع الفلسطيني)، الطبعة الأولى، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، 2000م.
113. عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد: الطب وارتداته المسلمات، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن 1985م.
114. عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة التاسعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 1985م.
115. عدنان عبد الرحمن أبو عامر: الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة (1987-1993م)، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، 2005م.
116. علي بن ظافر الأزدي: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات تحقي: محمد زغول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، د. ط، دار المعارف بمصر، 1983م.
117. عمر كحالة: المرأة في عالمي العرب والإسلام، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، 1978م.
118. عوني محمد العلوي وعبد الحميد جمال الفراني: أعلام النساء الفلسطينيات، بحث غير منشور.
119. غازي الخليلي: المرأة الفلسطينية والثورة، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، حزيران 1977م.
120. غازي السعدي ونواف الزور وغسان كمال: توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة (1981م)، الطبعة الأولى، الكتاب السنوي، هيئة الرصد والتحرير، المؤسسة العربية، دار الجيل للنشر، عمان، 1982م.
121. فارس مشتهي: نبضات قلب من أرض الرباط، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة دار الأرقم، غزة، فلسطين، 2004م.
122. فايز أبو شمالة: السجن في الشعر الفلسطيني، 1967-2001م، الطبعة الأولى، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، 2003م.

123. فتحي سلامة: المرأة والتنمية، بين الواقع المتاح والمستقبل المأمول، الطبعة الأولى، مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م.
124. فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للنشر، عمان، الأردن، 2004م.
125. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
126. كاظم جهاد: أدونيس منتحلاً، (دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 1993م.
127. لجنة شؤون المرأة: الخنساء أم الشهداء، الطبعة الثانية، نقابة الصيادلة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، 1992م.
128. محمد إبراهيم حور: تربية الأبناء - في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، الطبعة الأولى، مكتبة المكتبة، أبو ظبي، 1980م.
129. محمد أبو نصيرة: في كل سنة، من إصدارات رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة ، فلسطين 2010م.
130. محمد أحمد أبو غريبة: مواكب النضال، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتصام، 1968م.
131. محمد أحمد ومولاي بابوي وبشرى عليطي: البيئة الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، الطبعة الأولى، القدس 1998م.
132. محمد إسماعيل عمّار: صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، الطبعة الأولى، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2003م.
133. محمد بن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1982م.
134. محمد بن علي السكاكي: الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، مصر 1990م.
135. محمد حماسة عبد اللطيف: الجملة في الشعر العربي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة 1990م.
136. محمد حماسة عبد اللطيف: ظواهر نحوية في الشعر الحر، (د.ط)، طبعة مطبعة الخانجي، القاهرة 1990م.
137. محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987م.

138. محمد عبد الله عطوات: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، الطبعة الأولى، من 1918م- 1968م منشورات دار الآفات الجديدة، فلسطين.
139. محمد محمد أبو موسى: الإعجاز البلاغي، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1997م.
140. محمد ونعمان علوان: من بلاغة القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، مطبعة الرنتيسي للنشر، غزة 2009م.
141. محمود دراجسة: تشكيل المعنى الشعري، (قراءة نقدية)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2010م.
142. محمود منذور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.
143. مصطفى حسني الصواف وآخرون: شهداء أيام الغضب، د. ط، إصدار مكتبة الجيل، بالتعاون مع موقع صابرون، غزة، فلسطين، 2004م.
144. معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.
145. الموسوعة الفلسطينية: القسم العام في أربع مجلدات، المجلد الأول (1-ث)، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى، دمشق، 1984م.
146. ميسون العطاونة الوحيدة: المرأة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي، جمعية الدراسات العربية، القدس، فلسطين، 1989م.
147. نادي ساري الديك: جراحات حيفا- عذابات الكرمل، (الشكل والمضمون في شعر محمود درويش) مؤسسة الأسوار، عكا 2003م.
148. ناهض محسن: الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، الطبعة الأولى، مكتبة اليازجي، غزة، فلسطين، 2008م.
149. نبيل أبو علي وآخرون: دراسات في أعمال الشاعر والروائي عبد الكريم السباعوي، منشورات وزارة الثقافة، عمان ومنشورات مطابع الجراح، غزة، 2000م.
150. نبيل أبو علي: في نقد الأدب الفلسطيني، دار المقداد للطباعة، غزة، فلسطين 2001م.
151. نبيل أبو علي: شاعرات عصر الإسلام الأول، دار الحرم المتراث، القاهرة، 2001م.
152. نخبة من الكتاب والباحثين: القضية الفلسطينية في قرن، الطبعة الأولى، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، 1999م.
153. نسيبة بينت فيصل الحجي: الأمومة في الشعر السوري المعاصر، الطبعة الأولى، دار القلم للنشر، دمشق، 2006م.

154. هبة حمدان وأخريات: الاستهداف الصهيوني للعائلات الفلسطينية في حرب الفرقان 2009م، الطبعة الأولى، مركز نساء من أجل فلسطين، غزة، فلسطين 2010م.
155. هداية شمعون: النساء والمشاركة السياسية بين المعوقات والإمكانات المتاحة، مركز شؤون المرأة، غزة، فلسطين، (د.ط)، 2006م.
156. واجدة مجيد عبد الأطرقي: المرأة في أدب العصر العباسي، مركز زيدان للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، 2002م.
157. وفيقة حمدي الشاعر: كفاح المرأة (على الصعيدين) العالمي والعربي الفلسطيني، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني، دمشق سوريا، 1973م.
158. ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي: النظرية السنوية، الطبعة الأولى، ترجمة: عماد إبراهيم، الأهلية للنشر، عمان، الأردن 2010م.
159. يحيى بن حمزة العلوي: الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
160. يحيى زكريا الأغا: الصورة الفنية والوجدان الإسلامي في شعر فدوى طوقان، الطبعة الأولى، دار الحكمة للنشر، غزة، 1998م.
161. يوسف الخطيب: رأيت رام الله في غزة، الطبعة الأولى، دار فلسطين للثقافة والإعلام والفنون، دار الحياة للطباعة والنشر، دمشق 1988م.
162. يوسف رزقة وآخرون: العدوان على غزة، حرب الفرقان (2008 - 2009م)، الطبعة الأولى، مركز رؤى للدراسات والأبحاث، غزة فلسطين، 2010م.

رسائل الماجستير:

1. محمد إبراهيم عسلي: دار لمساة الشخصية المميزة لدى الجامعة (بمحافظة قطاع غزة) وعلاقتها ببعض المتغيرات، (رسالة ماجستير) في التربية والصحة النفسية غزة.
2. محمد يوسف الحافي: المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة (1994م - 2006م) رسالة ماجستير إشراف د. مخيمر أبو سعدة، 2009م.

المجلات:

3. مجلة إشراقات فلسطينية: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، العدد: صفر، رمضان 1432هـ - أغسطس أب 2011م.
4. مركز الميزان لحقوق الإنسان: تقرير حول جرائم قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق السكان المدنيين وممتلكاتهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يغطي الفترة من 2003/1/1 - 2003/3/13م، غزة، 2003م.

المواقع:

- 1- موقع شبكة فلسطين للحوار، بحث عن المعاني الواردة في شعر معركة الفرقان. مقال:
م/محمود الرنتيسي.
www.palldf.net/showthread.php
- 2- موقع أدباء الشام. يحي بشير حاج يحيى.
عضو رابطة أدباء الشام.
Yahyahaj@hotmail.com
- 3- موقع www.palissu.com
- عطا سليمان رموني، كيانُ تعود هدم البيوت.
- 4- موقع الكتروني عمر طرافي البوسعادي
[Amartharraf: yahoo.fr.](mailto:Amartharraf@yahoo.fr)
- 5- موقع: أوفاز
www.awfaz.com
- قصيدة على قمم النصر، الدكتور عبد الرحمن العشماوي.
- 6- موقع حزب الشعب الفلسطيني:
تقرير (غولدستون) بشأن الحرب على غزة 2008/12/27م إلى 2009/1/18م.
<http://www.palpeople.org/atemplate.php?id=1599>

ملخص الدراسة:

العنوان: "صورة المرأة في شعر حرب غزة 2008-2009م"

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: نبذة عن تاريخ فلسطين وقد تناولت الباحثة خلالها ملابسات حرب الفرقان وعرّجت على المرأة ونظرة المجتمع لها ودورها فيه.

الفصل الأول: المرأة المناضلة، تناولت الباحثة فيه دور المرأة في التعبئة والتثوير والصمود والمقاومة ومصابة وشهيدة.

الفصل الثاني: المرأة الثكلى، التي استشهد أحد أقاربها أو فقدت المأوى بنسف منزلها أو تجريف أرضها أو من حرمتها الاحتلال أحلامها وسعادتها.

الفصل الثالث: المرأة الرمز، وقد تناولت الباحثة فيه المرأة رمز التضحية والفداء، والمرأة رمز الأرض، والمرأة رمز السكن والطمأنينة.

الفصل الرابع: الدراسة الفنية، تناولت فيها الباحثة بعض الظواهر اللغوية والصورة الشعرية التي برزت في شعر حرب غزة 2008-2009.

الخاتمة: وقد رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

Abstract

Title: Woman as viewed in Gaza War Poetry, 2008-2009.

The study is divided in to preamble, 4 chapters and conclusion
preamble:

A brief account about Palestine history, covering, the ware louts of AlFurkan War, in which, dealt with the role of the woman and the related society outlook.

The struggler woman.

Chapter 1: The researcher cleat with the role of the struggler woman in mobilization, revolutionizing stead fasting, resistance, interring and martyrdom.

Chapter 2: The bereaved woman in which she lost either one of her relatives, or her sheter-bulldozing her house or land leveling. Her land or that who lost her dreams or happiness due to occupation.

Chapter 3: The symbol woman she is the symbol of sacrifice, redemption, symbol of land i.e she is the peace and tranquility.

Chapter 4: Technical study.

In which, the researcher highlighted some heuristic phenomena and the poetic picture in GAZA War poetry dated 2008-2009.

The Conclusion: in which, the researcher outlined the concluded results.

فهرس المحتويات

| رقم الصفحة | العنوان |
|------------|--|
| ب | الإهداء |
| ج | تقدير عالم |
| د | الشكر والتقدير |
| 1 | المقدمة |
| 4 | التمهيد |
| 16 | الفصل الأول: المرأة المناضلة |
| 17 | المبحث الأول: التعبئة والتنوير |
| 27 | المبحث الثاني: الصمود والمقاومة |
| 35 | المبحث الثالث: مصابة وشهيدة |
| 43 | الفصل الثاني: المرأة التكلية |
| 43 | المبحث الأول: هدم المنزل أو تجريف الأرض |
| 55 | المبحث الثاني: استشهاد الابن أو الزوج أو أحد الأقارب |
| 61 | المبحث الثالث: صور أخرى للمرأة التكلية |
| 69 | الفصل الثالث: المرأة الرمز |
| 70 | المبحث الأول: التضحية والفداء |
| 81 | المبحث الثاني: الأرض |
| 93 | المبحث الثالث: السكن |
| 105 | الفصل الرابع: الدراسة الفنية |
| 104 | المبحث الأول: الظواهر اللغوية |
| 104 | - خصائص الألفاظ |
| 109 | - التراكيب أو الجمل |

| رقم الصفحة | العنوان |
|------------|-------------------------------|
| 116 | - التقديم والتأخير |
| 119 | - التكرار |
| 124 | - التناص |
| 136 | المبحث الثاني: الصورة الشعرية |
| 136 | - الصورة الشعرية |
| 138 | - الصورة الجزئية |
| 148 | - الصورة الكلية |
| 152 | - الخاتمة |
| 154 | - المراجع |